

الرواية

صاحب المجلة
ومديرها ورئيس
محرريها المسئول
أحمد حسن الزيات

سكرير التحرير
محمود الحضيف

مدل الاشتراك

١٢ في مصر والسودان
١٥ في الممالك الأخرى
٥ عن العدد

الإعلانات

تتمتع علمها مع الإدارة

الإدارة

٨١ شارع السلطان
حسين بعبدين
القاهرة ٢٧٤٩٠

مجلة أسبوعية للفن والفكر

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

العدد الثاني ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ - ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٢ السنة الرابعة



فهرس العدد

٢	الارلية ، أو الحب القاهر	لأوسر دوديه	قلم الأستاذ أحمد حسن الزيات
٦	وأخيراً اختارت	أقصوبة مصرية	للأستاذ محمود الحضيف
١٧	بقطة القمر	تولستوى	قلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٢٢	يريد أن ينساها	أقصوبة مصرية	للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله
٢٨	استحان روجة	للكاتب الفرنسي إميل سيمون	قلم الأستاذ محمد عفيفي
٣٠	الضيفان	لجى دى موباسان	قلم الأستاذ محمد محمد قطار
٤٠	النصر	لشاعر الهند رابندرانات طاغور	قلم الأستاذ عبد الوحود عبد الحافظ
٤٦	اليهودى	للقصصى الروسى إيفان برجيب	للقصصى الإشعلى بروس حريم
٦١	البيت الخالى	قصة بولندية	
٨٠	فكر فى الحل		

الآن ليزية، أقول الحب القاهر

لؤي نوري

بسم الله الرحمن الرحيم

المكان غير مأهول

كنت بالأمس عائد من القرية ساعة الهاجرة؛
وكانت شمس الظهيرة تمج القبط فيدفع الوجوه؛
فكنت أتق وقدتها بالسير في ظلال الجدر
وفي أقياء الشجر . فلما صرت أمام هذا
المنزل وجدت عمالا يحمّلون عربة بالدريس
وهم ساكوت . وكانت البوابة مفتوحة ،
فصوبت في السكان نظري العابر فوجدت في
آخر القنا شيخا جلله الشيب وأوهنه السكبر .
قد ارتدى سترة أقصر مما ينبغي ، وسراويل
مزقتها بد البلى من كل جانب ، وقد انكأ
على منضدة عريضة من الحجر ، ووسد رأسه
على راحتيه ، فوقفت . وحيث دنا مني أحد
العمال وقل بصوت خافض :

شئت ! إنه السيد ! وهو على هذه
الحال التي تراها منذ وقع لابنه ذلك
الحادث الأليم

وفي هذه اللحظة مرت بئنا امرأة و غلام
صغير يلبسان السواد ويحمل كل منهما
كتاب سلوات ضخمة مذهب . فأتبتهما
بصري حتى دخلا المنزل . فقال الرجل :
وهذه هي السيدة ! والغلام الذي معها هو

ير الهابط من طاحونتي إلى القرية
بمنزل ربي أقيم على جانب الطريق في صدر
قنا ، كبير يظله الشجر . وهذا المنزل
هو المنزل الحق لرب الأسرة البروفسي
وأجرة الأجر ، وواجهته العريضة ، ونوافذه
المتنافرة ، ودوارته الموائية التي تدور على
ششمه ، ورافعة القش التي تقف على
حداره ، وحزم الدريس التي تتناثر على سطحه
لماذا كان هذا المنزل يروع قلبي ؟ ولماذا
كانت يوانته المذاتة تقبض صدري ؟

لم أكن أستطيع تعليل ذلك ؛ ولكن
المنزل مع هذا كان يبعث الرهبة في نفسي .
كان حوله نطاق من السكون العميق
الرهيب الشامل ؛ فالكلاب تنظر ولا تنبح ،
والدجاج تنفر ولا تصيح !

أما في الداخل فلا تسمع صوتا ولا
حركة ؛ لا صوت إنسان ولا حركة حيوان !
فلا الستائر المظروبة على الشبايك ،
والدخان المتصاعد من الأسطح ، لحسبت

(١) الأرقام العشرة المنسوبة إلى (أول)
على مدخل فرس الخويبة . وقد كتب قصتها الفونس
عنديه بهذا الإيجاز ثم جعل منها مسرحية من نوع
البلودرام في ثلاثة فصول وخمسة مناهل

بفتاته مهما يكافئه هذا الظفر ؛ حتى أعلن أنه
سيموت إذا لم ينلها .

فلم يسع أبويه إلا أن يفضيا على ما يقال في
الفتاة وقبل أن يروجا منها بعد الحصاد

وفي مساء يوم من أيام الآحاد أدبت

العائلة مادة أشبه بوليمة المرس . نعم لم

تخصر عائطية ، ولكنهم تقارعو على ذكرها

وشرفها الكؤوس نحا بعد نخب . وإليهم

لنى شهوة الطعام ونشوة المدام إذ وقف

بالباب رجل يطلب فى صوت مضطرب أن

يتحدث إلى السيد إستيف نفسه . فتقام

إستيف عن المائدة وخرج يفتاء على مدرجة

الطوبى . فلما دنا منه قال له الرجل :

« سيدى : إنك تزوج ابنتك من ساقطة

خلالها ستين كاملتين . وما أدعيه سائبته .

إقرأ هذه الرسائل . ولقد كان أبواها يعلمان

ما كان بيني وبينها من أمر ، فوعداى الزواج

منها : « لكنهم أخلفوا الوعد وخاسوا به يوم

تقدم ابنتك إلى الفتاة . فلام ولا هى يريدون

اليوم أن يصلنى بهم سب . ولقد كان الظن

أن يصلح هذه الحسنة انبرى بعد أن حدث

بيننا ما حدث »

فقال السيد إستيف بعد أن سمع من

الرجل ما سمع ، وقرأ من الرسائل ما قرأ :

حسن : ألا تدخل فتشرب عدحا

من المسكات ؟

ابها الأصغر . ونما عائدان من القداس ،

فأيهما لا يتقطعان عن شهوده كل يوم منذ

اشترى ابها الأكبر . آه ! ياسيدى ! لشد

ما لاعهم الحزن وأرمدى جوانحهم الألم !

ولقد أمر الأب على أن يرتدى ثياب البيت

ساره وليله ، ولم يستطع أحد أن يحمله على

حلمها . ثم حرك الرجل العنان فى يديه وقال

بسمانه : شئى فاهرت العربة تريد أن تسير ،

فقلت للسائق : أركبني معك فأنى أريد

استغناء هذا الحديث . ومن فوق العربة

وعلى غل الدريس أخذ الرجل يروى لى

هذه القصة المخرجة :

كان يسمى نان . وكان فلاحا فى

المشرى من عمره ، بارع الفتوة ، سلب

المعضل ، حبيب الطبع ، طلق الحيا . وكان

على حظ عظيم من الجمال والرونق فامتدت

إليه عيون النساء . ولكنه كان فارغ القلب

منهن إلا من واحدة : أوليرة صغيرة

رأها مرة فى ميدان (أول) رفل فى القطيفة

والحرم ، فشغفت قلبه حبا . وبلغ أبويه

الخبر فلم ينظروا أول الأمر إلى هذه العلاقة

بنظرة الرضا ، لأن الفتاة قد انتشرت لها فى

الناس سمعة بكثرة الدلال وقلة الحشمة ؛

ولأن أهلها لم يكونوا من أهل هذه البلاد

ولا من دوى المثالة

إلا أن جان قد أمضى عزبه على أن يظفر

فقال الرجل : شكرا ! إن ما بي من الغم
أضعاف ما بي من الظلم ، وانصرف
وعاد الأب إلى مكانه من المائدة ووجهه
وصوته لا يبان على شيء مما يكظمه .
واستأنف القوم طعامهم وشربهم حتى
انتهت المائدة كما بدأت في سرور وبهجة .
فلما تقدم الليل خرج إسقيف وابنه إلى
الحقول فلبثا فيها طويلا ثم عادا . وكانت
الأم لا تزال تنتظرهما على قلق . فلم يكادوا
يحتضمون حتى قال رب الأسرة لزوجته وهو
يقدم إليها ابنه : عاتقيه يا امرأة . إنه بائس !

لم يجرب بعد ذلك ذكر الأرابية على لسان
جان ، ولكن قلبه لا يزال كلفا بها . وقد
لج به هذا الكلف منذ أروه إياها وذراعها
في ذراع آخر . إلا أن كبرياءه كانت
تأبى عليه أن ييوح بمكنون حبه ، وهذا هو
الذي قتله . كان كثيرا ما يقضى أياما
بأسرها منعزلا في ركن من الأركان لا يتكلم
ولا يتحرك . وكان في أيام آخر ترد حاله
إلى الضد ، فيقبل على الأرض حاسرا عن ساقه
ويده ، فيعمل ثم يعمل حتى ينجز وحده
ملا ينجزه إلا عشرة . فإذا أمسى المساء
اتخذ السيل إلى (أرل) فيعيشي قدما حتى
يرى في حمرة الشفق قباب الأجراس
الدقيقة صاعدة في سماء المدينة ، فيعود عندئذ

أدراجيه ولا يذهب إلى أبعد من ذلك
فلما رآه أهله على هذه الحال ، أليف
الحزن وأنيسه الوحيدة ، لم يدروا ماذا
يصنعون ، وأشفقوا عليه أن يصيبه مما
يعانيه سوء . ففي ذات عشاء قالت له أمه
وهي ترمقه بعين عبرى : « اسمع يا جان !
إذا كنت تريد على عاتقك أنلناك إياها »
فأطرق الأب رأسه ، وضرَّج الخجل وجهه .
أما الآن فقد أوما إلى أمه أن لا ، وخرج
ومنذ تلك الليلة غير جان أسلوب حياته
كان يتصنع المرح ويتكلف السرور ليطمئن
والديه على حاله . وكان إذا أقبل الموسم
الذي يسمون فيه المعجول والخيول بالساعات
المعيرة ، أقبل هو أيضا على الرقص بحاصر ،
وعلى الحانة يشرب ، حتى قال الأب :
« الحمد لله ! أبلَّ المريض وسلا العاسق »
ولكن الأم كانت على خلاف زوجها .
توجس في نفسها خيفة ، وتتوقع لابنها
شرا . فتعقب خطواته ، وراقبت سكناته
وحركاته ، وأيقظت لتعقبها ومراقبتها العين
الكلية والقلب الشاهد

وكان جان ينام مع أخيه الأصغر في
غرفة مجاورة لبيت دود القرمحائم الأم
المسكنة بسريرها فأقامته بجانب هذه الغرفة .
بحجة أن الدود ربما احتاج إليها أثناء الليل
وبعد قليل أقبل عبد القديس (إلوا)

شيخ أرباب الأسر ، فكان عيده في العزبة
يوم متاع وقصف : كانت صنوف الحلو
تقدم إلى كل إنسان ، ودنان الخمر تسيل
في كل مكان ، والصواريخ تنفجر في الأرض ،
والقذائف تفرقع في السماء ، والصاييح ذات
الألوان تكلل أغصان الشجر ، والمهتاف
بذكرى القديس نشق أجواز الفضاء ،
والرقص الربيعي ينزو بالناس زو الجنون ، حتى
بلغ الطرب بالابن الأصغر أن يحرق قيصره
الحديد ؛ وبدت على جان نفسه دلائل الغبطة
لحمل أمه المعجوز على أن ترقص ؛ فرقصت
المسكينة وهي تبكي من طغيان السرور

وانتصف الليل فأوى كل إلى فراشه .
وكان القوم من فرط ما قصفوا وعربدوا
محتاجين إلى النوم فناموا . إلا جان فلم
تكتحل عينه بنوم ، ولم يطمئن جنبه إلى
مضجع . وقد حكى أخوه أنه بات طول
الليل ساهدا ينتحب ويتمايل

لشد ما كابد المسكين ! لقد قلت لك
إن لدغته كانت شديدة

فلما غورت النجوم وأسحر الليل ، سمعت
الأم إنسانا يجتاز الغرفة وهو مسرع .
فسبق إلى وهما خاطر فظيع فصاحت :
« جان ! أهو أنت ؟ »

ولكن جان لم يجب . لقد كان وقت
أن صاحت على السلم . فهبت الأم فزعة مسرعة

وهي تنادي !

« جان ! إلى أين تذهب ؟ »

ولكن جان لم يجب . لقد صعد إلى
أعلى البيت فصعدت الأم وراءه وهي تصيح :
« جان ! ولدي ! استحلفك بالله »

ولكن جان لم يجب ، وأغلق من وراءه
الباب وأحكم رنجه . فوقفت الأم تتضرع
وتقول : « جان ! جانو ! أجبني ! ماذا
تريد أن تصنع ؟ »

وأخذت تتحسس موضع الزلاج بيديها
المعروقتين المرتعشتين ؛ ولكن صوتا طرق
أذنيها ، فسهر يديها : صوت شباك يفتح ،
وصوت جسم يسقط . وانتهى على بلاط
الفناء كل شيء ! لقد كان يقول المسكين
لنفسه : « إني أحبها حبا غلب على عقلي وغطى
على بصري » فلاحيلة إلا أن أرحل

ما أبأس قلوب بني آدم ! حتى الاحتقار
الذي يقتل النفس لم يستطع أن يقتل الحب !
ولما أصبح الصباح واستيقظ أصحاب
القرية أقبل بعضهم على بعض يتساءلون :
من الذي يصرح هذا الصراخ المروع قريبا
من دار استيف ؟ وما كان هذا الصراخ
الهالك إلا أم جان ارتعت عارية على بلاط
الفناء أمام النضدة الحجرية المغطاة بالندى
والدم ، وأخذت تصرخ وتعمول وبين
ذراعها ابنها الصريع ! صرخات

وَأَخِيرًا أَحْبَابًا

لِلأَسْنَادِ مُحَمَّدٍ الْحَنِيفِ

وأسلحت حوبتها وأثبتتها على رأسها ثم
وضعت فوقها جرتها وانتظرت ريثما جاءت
سلفتها بجرتها وخرجتا تقصدان ترعة قريبة
وراحت مأمونة تبدى عجبها لسلفتها
كيف ظلت نائمة بعد أن استيقظ كل من
في الدار، وكيف لم تصح حين صحا زوجها،
ومهر من جوارها وكيف لم يوقظها،
وأخذت تصف لها كيف ظلت مؤرقة حتى
ظهرت نجمة الفجر. ولكن حاتمها ان تقبل
منها عذرا ومتى سمعت منها إلى معذرة قبل؟
وكانت سكونية على الرغم من طيبة قلبها
لا تخاف من خبث، فنظرت إلى مأمونة وهي
تضحك ضحكة ذات معنى، وأدركت
مأمونة ما تريد فشت حمرة خفيفة في وجهها
الأبلج الجميل واختلجت عيناها التالفتان
ورفت أهدابها الطويلة وهي تمدح سكونية
حجج اللامعة

وقالت سكونية ضاحكة « إنك حريصة
على رؤيته وما يهيك غضب حمانك. وإنك
لتحامين به حتى تبدو نجمة الفجر. اطمأني
فستدركينه فإنه لن يعود من مشيته والله
حتى يراك؟ وستجدينه عند التربة. وها هي
ذی طراوة الصبح تسرى في الحقول على

أشرقت الشمس ورأت مأمونة وهي
لا تزال راقدة فوق سطح الدار أشعتها الحمراء
في سمف النخلات القريبات وفي قبة المأذنة
البعيدة، فاستوت جالسة على حصيرتها،
ودلكت بأناملها الدقيقة السمرء عينيها
الدعجاوين الجميلتين، ثم ما لبثت أن نهضت
فطوت فراشها وزلت بسرعة إلى فناء الدار،
ونظرت فلم يجد إلا البقرة والجاموسة،
فأدركت أن زوجها قد خرج بجمله إلى الحقل
البعيد. وسمعت سلفتها سكونية تحدث بعلمها
في إحدى القاعات وقد تهيأ ليسحب الدابتين
إلى حقل قريب وتيأت هي لتحمل جرتها،
ورأت حاتمها المعجوز نشطة في بعض أعمال
الدار فبدأ على وجهها كثير من الخجل
والهم، ثم أصبحت رب الدار على مصطبة
لدى الباب يفتر بعض الخيال فحيتته في استحياء
وعصفت بسرعة إلى إبريق فمسلت
وجهها بقليل من الماء، ثم مسحته بديل
جلابها الأبيض وسوت شعرها بكفها
معجلة وشدت عليه غنديل أخضر جديد،
وارتدت جلابها الأسود، ووضعت على
نحرها عقدها الكهرماني الكبير الحبات،
وتطرحت بطرحتها الطويلة السوداء،

تكلفت الغضب وصاحت بسلفتها ثانية بين
العبوس والضحك قائلة « سكينه ! ماذا
دهى عتاك هذا الصباح ؟ »

رأى أول مارآها فجأة، وكان خارجاً من
داره في طرف القرية ذات صباح من أصباح
بشنس ، ولم يمض إلا أيام قلائل من إجازته
الصيفية التي يقضيها كل عام في القرية لا يكاد
يرحها حتى تبدأ الدراسة . ونظر فإذا هو
حيال قرية شاة يأخذ العين جمالها الرائع ،
فوجهها المتورد في سحرة ، وعيناها الواسعتان
السوداوان ، وأنفها المستوي الدقيق ، وشباب
الذي لا يزيد عن استدارة الخاتم ، وخدها
الأبلج الأسيل ، ومفرق شعرها الفاحم تحت
منديلها الأخضر ، وعندها الكبر ماى
الذي يدور بنحورها المستول ، وقوامها الأهيف
الطويل في غير إفراط ، وصدرها الناعد ، كل
أولئك قد انطبقت في صورة من الحسن عجيبة .
وأثبت في وجهها عينيه وفي نظراته الإعجاب
والعجب ، ونظرت هي كذلك إليه نظرة
جريئة لم تستردها إلا بعد لحظة . وأدرك
أنها تفتنت إلى إعجابه بها فامتلاً بهجة .
وأحسن أنه قرأ في وجهها ارتياحاً عظيماً لما
تفتنت إليه ، فلقد كانت تنظر إليه وكأنما
تشمع أنها اهتدت إلى من يدرك جمالها
ويقدره قدره ...

وانقضى اليوم كله ، ولم تزل صورة

الرغم من شمس نؤونة وما يمشى سيدي والله
كل صباح في إجازته هذه إلا ليراك »

وحبست مأمونة في جهد ابتسامه حلوة
في ثمرها الدقيق الذي يبدو كأنه ثمر طفلة
وصاحت بسلفتها قائلة « سكينه ... ماذا
حدث بعقلك ؟ » ثم تظاهرت بالغضب على
الرغم مما بدا من أمارات الرضا في محياها
الأسمر المتورد التقسيم وعادت تقول « ماى
ولسيدك هذا ؟ وهل يفكر في أمثالنا ؟ وأين
نحن منه ؟ »

واقتربتا من الترعفة فأبصرتا مقبلا ،
وجملت مأمونة من طرحها نقاباً لوجهها
تخفيه عن سكينه ، وغطت صدرها بذيل
الطرحه وإن الاضطراب ليملاً جسمها كله
وإن سكينه لتسمع دقات قلبها . وسر بهما
فأثبت نظرة في وجه مأمونة وفي قوامها
المرهف وصدرها الناهد ولكنها لم ترفع
إليه عينها . وحيا سكينه كما يفعل كما رأها
قائلاً « صباح الخير يا سكينه » وردت عليه
في اهتمام شديد بقولها « صباحك الله بالخير
يا سيدي ... الطريق كله منور »

وقالت سكينه لسلفتها وهي تلمح في
وجهها : فرحة وفي عينها زهوا وفي مشيتها
تخلعا « إنه يحبيك أنت يا مأمونة ... والله إنه
يحبك ... وهل يخفى الحب ؟ لقد كان ينظر
إليك نظرة لو رأيتها ... »

وضحكت مأمونة ولكنها ما لبثت أن

مثل ذلك في وجهه . ولم يلبث أن أحس
الفتى بعد أيام إحساسا عجيبا فإنه ليمتلي
ضيقا ونكدًا إذا مر يوم فلم يرها فيه ، وإنه
لا يزال في ضيقه حتى يراها ، ويرى من
بعد ابتسامتها التي تضيء وجهها حين تقع
عينها عليه والتي تحبسها إذا اقتربت منه ،
فإذا الدنيا كلها باسمه حوله . ثم إنه بات
يعجبه منها شيء آخر يضاف إلى جمالها ،
ذلك هو ما يحسه من رزائها واحتشامها ،
وحسن أدبها إذ تحي صاحباتها أو
تتحدث إلى النسوة . وحسن ذوقها في اختيار
زينة حتى لتبدو وهي القروية الساذجة
وكأنها ذات ثقافة

وسرعان ما عرف اسمها واسم زوجها
وأسرته ، ولشد ما آله وكدره أن ترف
منها إلى عطية ذلك القصير الأعشى الذي
لا يعجب في هيئة ولا في هندام وإن
كان أبوه ميسورا بعض اليسر ، والذي
لا يعرف إلا حقله وداره فيخرج أكثر
الأيام قبل شروق الشمس فلا يعود إلى
داره إلا بعد غروبها مكدودا مضقارا يكاد
يسقط من الإعياء

ملأت مأمونة وسكينة جرتيها وجلستا
على حافة التربة تنتظران من يعينهما على
حملهما . وقالت سكينة « اسمي يا مأمونة !
إن سيدي حسين يريد أن يتحدثك ... وأنا

تلك القروية ملُ خاطره ، وإنه لمرح طيلة
سهره يرى البهجة في كل شيء ويحس التعة
في كل حديث ، وإنه ليرد ذلك فيما يحس إلى
ذلك الجمال الذي طالعه به الصباح

وكان خارجا من امتحانه مكدودا ، لم
سقى له إلا سنة واحدة في كليته ، وكان
يحدث نفسه أن يستمتع بإجازته هذه
ما وسعه الاستمتاع ، فلن تكون له بعد
مخرجه إجازة طويلة ، وها هو ذا يفتح
إجازته بما يلقي السحر في خاطره ويشيع
البهجة في نفسه ...

وكان يثلج فؤاده حديث نفسه إليه أنه
سوف يعرف عما قريب من هي ، وإن كان
لن يعجب كيف لم يرها قبل ذلك . على أنه
يدرك من عقدها الكهرمان ، وثوبها الأسود
الشبيه بالحرير ، وخلقها اللامع ، وحنانها
الجديد ، أنها عروس فتاك في القرية أمارات
لا تخفى ، وأكبر الظن أنها تزوجت شابا
في الحارة التي تقع غير بعيد من بيت عمه
العمدة وبيوت أسرته

ورآها في صباح اليوم التالي تحمل
جرتها إلى التربة في سرب من الصبايا ،
وكان جالسا أمام داره يتربص في قلق
وشوق ، ونظرت إليه واختلجت شفتاها
بابتسامة خفيفة ، ولكنها استردت نظرتها
في سرعة مخافة من حولها ، وقرأ في وجهها
أنها تمحصر على أن تراه وأن يراها ، وقرأت

موضع شرك و ... » والتفتت إليها مأمونة
التفاتة سريعة وقالت وفي وجهها صفرة وفي
سوتها تهديج وقد دقت صدرها بكفها :
« سكينه ... أنت سلفتى وما أسأت إليك
قط وإني أحبك وأحب أولادك ، فلم
تسيئين إلى ؟ ماذا تمنين بهذا ؟ أنا أحب
زوجى ... هذا ما قسم الله لى ، وليس بمرز
على الله أن أصبح أما كما أنت أم ، ورجائى فى
الله كبير ... لم تطيعين حماك فتتجسسى
على ؟ أنا أعرف أنها هى التى دفعتك ، أما
زوجى فهو مسكين لا يعرف إلا لقمته
وقاسه .. حرام عليك يا سكينه .. » وتندت
عينا مأمونة ومسحت دموعها بذيل طرحتها
فقال سكينه مضطربة « أنا يا مأمونة
أتحسس عليك ؟ والله ما كلمتني حماك فى
شئ ولا تدرى شيئا ... والله إن سيدى حسين
رجل طيب جدا ، سيرته مثل المسك بخلاف
أبناء أعمامه جميعا . وما أردت إلا أن حديثه
معاك لن يضرك شيئا »

وجاءت امرأتان فأعانتهما على حمل
حرنبيهما ، فسارتا صوب القرية صامتتين .
ولما مرتا ببيت العمدة ، وبيوت أسرته ،
أسرعت مأمونة مشيخة بوجهها عن تلك
الدور لترى سلفتها أنها لا تحب أن ترى أحدا

أهو الحب عاد يخفق به قلبه ولم يشف
من جراحات له بعد ؟ أهو اهتزاز نفسه

للجمال فحسب كما تهتز لمطلع الشمس وغروبها
وإشراقه الفجر وطلعة القمر ؟ ذلك ما كان
يهجس فى خاطر حسين ذات صباح وهو على
كرسيه أمام بيته منكدر النفس فقدمرت به
مأمونة فى سرب من صويحباتها ولم تنظر
إليه وكان فى وجهها عبوس أقرب إلى أن
يكون حزنا . وإنه ليسخّر من نفسه أحيانا
إذا خلا إليها ، فإذا كان ما يحسه فى أعماق
نفسه هو الحب ، فما غايته من حب فتاة قروية
هى قبل كل شئ زوجة ؟ كلا ... ليس ما يحسبه
إلا الإعجاب بالجمال ملك عليه نفسه وحرك
قلبه الشاعر . ولكن ما باله تنكدر نفسه
ويظلم نهاره إذا غابت عنه يوما أو يومين ؟
وما بال قلبه يهفو إلى نظرة من نظراتها ؟
يل ما باله اليوم ضائقا بنفسه لأنها امرت به ولم
تنظر إليه ؟

وقطعت عليه حواطره سكينه حين رفع
رأسه فآها أمامه . لقد جاءت تبيعه بعض
أزواج من الأراب والحمام ، وكان اليوم يوم
سوق القرية ، وإن وجهها ليدى ما تخفيه فى
نفسها ، فسألها باسمها « أهذه أرائيك أنت
وحماماتك ؟ » فأجابت من فورها بل أراب
مأمونة وحماماتها ولى بعضها ؛ تبيعها لخلاف
بينها وبين حماها على إطعامها ، وهى تريد
منها لزور السيد البدوى وتضع شيئا من
المال فى صندوقه ... ثم إن زوجها يطلب
منها المال ليشتري الشاى والمسل فليس

خدمهم، فقال لها «أعجب أنك لا تتقاربن منها
ياسكينة !» وكأنا أريد بذلك أن يستردها
من أبناء سلفتها، فقالت سكينة «وهبني
الله البنين ووهبها الجمال؛ ولكم تنمي
المسكينة الولد ياسيدي ولكم تبكي
حظها، وأنا أحبها والله لأنها طيبة هادئة
لا يكاد يسمع لها في الدار صوت، ولأنها تحب
أولادى ولا تبخل عليهم بشئ وسرور
السيد البدوى وسيدى عبد العال وإن شاء
الله يجود عليها ربنا بالولد»

وقال حسين ضاحكا: «على كل حال ما كانت
مثل هذه لذلك القصير الأحمق الذى يستوى
عنده الذلالة والقرودة»

وصحكت سكينة قائلة «والله ياسيدي
كلاهما حق، ولكم يغيطها منه أنه لا يظن
منها إلى أى معنى مما يظن إليه الرجال، مع
أنها إذا زلت السوق لا يبقى شاب أو رجل
من بلدنا أو من البلاد الأخرى إلا ويسكاد
يا كاهها بعينيه ... إنها وسط مئات النساء
والسبايا في زحمة السوق تجذب الأنظار فلا
تقع إلا عليها»

ودخلت سكينة بيته بما تحمل من أراب
وحاتم، وخرجت بعد حين فسألت في جراءة:
«ألا تمشى الليلة بعد المغرب؟ سرانا
عائدين فسنملا جرتينا هذا المساء من الفرعة
تحت شجرة الصفصاف عند رأس عيطنا
القريب»

يمطيه أبوه شيئا على كثرة ماله ولا يعطى
زوجى حسنا ولكن زوجى لا يرهقنى
فقال باسما: أتعلم أنك تبيعينها لى؟
فأجابت فى جد: لا والله ياسيدي.
وأنا لأستطيع أن أفترى الكذب عليك
فسألها ولم لم تذهب بها إلى السوق؟
قالت: طلبت إلى أن أفعل ذلك ...
فإنها ... إنها مهمومة تبكى ... لقد شتمها
زوجها وشتمها حاتمها، وما خرجت لئلا
جرتها هذا الصباح إلا مكرهة

وبدا على وجهه الألم الشديد والرثاء
والحنق على حاتمها وزوجها، وأغرى ذلك
سكينة بأن تترثر لتستزيد عطفه، فراحت
تصف له كيف شكرها حاتمها لأنها لم تحمل،
وكيف تهتمها دائما أن لا هم لها إلا أن تزين
لتمجيب الرجال، وأن ذلك يشغلها عن أعمال
الدار. وكيف انتهرها زوجها بالأمس وهم
نصرها حين قالت له إنها لا تسكاد تراه في
النهار، وما أسرع ما يلفه النوم في الليل، وأنه
يرهقها بطلب المال وهي لا تملك سوى ما تربي
من طيور قليلة وأراب يموت أكثرها
أحيانا ...

وقاطعها حسين قائلا في كثير من الغيظ
«أيسكون مثل ذلك القصير الأعشى زوجا
لأجل فتاة في القرية؟» وأحب أن يداعب
سكينة فليس بينه وبينها كلفة فقد كانت
خادمة فى بيته ولا يزال أبوها وأمها من

أشجار الصفصاف والتوت والسنط والجوز
على جوانب الترع والغدران ، والطرق تكاد
تكون خالية إلا من بعض الصبايا عائدات
بجرارهن من التربة البعيدة

وتجاور في مسيره شجرة الصفصاف
المقصودة وعيناه على الأفق الشرق مستغرقتان
في حضرة الشجر وحرارة الشفق ، ثم استدار
نحو مغرب الشمس ، فأبصر على بعد فتانين
تحملان جريتهما ، وسرعان ما عرف مأمونة
من منيبتها ثم عرف سكينته ...

وتوازي غير بعيد خلف شجرة ، حتى
ملأتا جريتهما تحت الصفصافة ، ثم أقبل
كأنه عائد من سير طويل وأبصر مأمونة
وكأنه لا زال على حجر في الماء تكشف عن
ساقها ، وظهرها إلى الطريق ، ورأته سكينته
فصحكت ، فقال « مساء الخير يا سكينته » وقبل
أن تجيب التفت إلى مأمونة فرأى دهشة المفاجأة
في وجهها واضطراب في جسمها ، ولكنه
تميز في ذلك الوجه المصفر مع ذلك فرحة ،
ورأى في عينها رضا وسكنا ، وأحس في نظرتها
شيئا من الحجل والشكر فتذكر ما باعته بإزاء
سكينته ، ثم ما لبثت أن عادت لوجهها حمرة
فكان وزرقة الماء من تحته كقطعة على
الأفق من حمرة الشفق

وقال حسين : وهو يحكي اضطرابه :
« من معك يا سكينته ؟ » وأبتسمت مأمونة
فإنه يراها ، فقالت سكينته « هذه خادمتك

ومشت وهي تمسك النقود في يدها ،
ورأى وهي منه على خطوات الدهشة في
وجهها من سخائه والفرحة بنصيبها من الثمن
وطابت نفسه بأن يعين مأمونة على زيارة السيد
البدوي ، وأن يذهب عنها بعض الهم

قضى نهاره بعد الساعات ، وإنه ليسأل
نفسه أتعلم مأمونة بهذا الموعد أم أنه تدير
سكينته وحدها ؟ وإنه ليسأل نفسه كذلك
كما سألهام هذا الذي يحسه نحو تلك القروية
الساذجة ؟ وإن لم يكن هذا هو الحب فإذا
يكون الحب إذن ؟ ويعود فيقول لنفسه
وما غايته من هذا الحب ؟ أذلك الذي يحسه
هو سحر الجمال ليس غير ؟ ولكن أيستطيع
أن ينصرف عن هذه القروية فلا يفكر فيها ؟
إن هذا السؤال وحده يكدر خاطره وسرعان
ما تتمثل له عيناها الدخاوان ولون وجهها الذي
مارأى قط مثل حمرة وسمرة ، ونظرتها التي
كان يؤمن أنها لو تمسكت من صخر لا هتز
الصخر ... سرعان ما تتمثل له ذلك فيقفو إليها
قلبه وغلا نفسه السحر

وتسلل وحده إلى الحقول ولم يبق من
الشمس إلا حمرة في أطراف السعف . ومشى
يحيط به القضا الذي تحبه في الرب نفسه
الشاعرة ، فلأرض خالية على مد البصر إلا
من بعض حقول القطن ههنا وهناك ؛
وأنفاس المساء تسرى رجة من بين

حمل جرتك ؟ لم لم تصبرى حتى يأتى من
يعيننا معا ؟ » وما كان أشد دهشتها حين
تقدم حسين فقال لمأمونة « لقد صببت الماء
على يدي وسأعينك بنفسى على حمل جرتك »
وتراجعت مأمونة مأخوذة وفي عيناها العجب
والرضا قائلة « لا .. لا .. ياسيدى وأنا
قدر المقام ؟ أنا خادمتك ياسيدى » ولكنه
أصر فأطاعت ، فتناول الجرة بيديه وطأطأت
رأسها قليلا ومدت يديها المرتعشتين فأعانها
على حملها وهو يحس أنفاسها على صفحة
وجهه وسارت وسلفتها ومـل نفسها
الزهو والرضا

رآها فى الصباح فابتسمت له شاكرة ،
ورأى فى وجهها وعينها شيئا آخر غير
الشكر ، شيئا يحسه ولا يدريه ، شيئا
لا يكون إلا بين قلبين

واردادت بينه وبينها الألفة ، فإذا
كانت وحدها حياها وحيتها ، وإذا كانت
مع سكينه حياها معا ؛ ولكنه لا يرى عقده
فى جيدها أبدا

وعلم من سكينه أنها تخاف أن تلبسه ،
فسلسلته ومشبكه من الذهب وحياته مما ليس
للقرى به عهد ، وكان قد أعد هدية لقرية
له. ومادا عسى أن تقول لزوجها وحماها إن
سألاها عنه ؟

ورأت عقدها معطلا لا يعجب به أحد ،

مأمونة « فقال فى هدوء « لا تقولى خادمتك
من مثلها فى القرية جمالا وذوقا ؟ »

واشتدت الحمرة فى وجه مأمونة وهى
على الحجير فى الماء ، واتممت عيناها فى
شوة وزهو ، ثم أشاحت بوجهها نحو الماء
فى حفر فقال « مساء الخير يا مأمونة » فردت
فى صوت خافت ونفسها يتقطع « مساء
الخير والسعادة ياسيدى حسين »

ووقف لحظة ومل نفسه بهجة لا يدرى
مادا يقول ، ثم تظاهر أن فى كفيه بعض
الغبار وأنه يريد أن يفسلهما ، وقالت سكينه
« هاى بعض الماء بكفيك يا مأمونة »
واقترب من الماء وأخذت مأمونة تغترف
منه بكفيها وتصب على يديه (مرتعة الأامل)
وهو يتأمل فى جبينها الصقيل وعينها
النجلاوين ويرى من قرب أنفها السوى
وفمها الرفيق ، وهى متجهة بصرها إلى الماء
لا تكاد تنظر حتى إلى يديه

وابتعدت سكينه متظاهرة أنها تجمع
بعض أغصان السقفاص تريد بها حوتها ،
فأخرج من جيبه عقدا ودسه فى جيب مأمونة
فى مثل لمحاة الطرف ، وما كادت تلتفت حتى
رآته فى وسط الطريق ...

وخرجت من الماء مرتبكة الفاصل
مرتمة الأطراف ، ولكن فى أسارىها
مرحة ، وأعان سلفتها على حمل جرتها ،
وضحكت سكينه قائلة « ومن يعينك على

دائماً مريحة أبداً ، ثم مالبت عيوسهن المأكورة
 أن تبين أن ما بينها وبين حسين هو ما يكون
 بين حبيبين فإنه لا ينظر فيهن إلا إليها .
 وإنهن ليرين في وجهه الاهتمام واللفتة .
 ويرين في وجهها مزيجاً عجيباً من القبح
 والاضطراب تحاول أن تخفيهما في جهده .
 وقالت إحداهن وتدعى حميدة ذات مرة في
 همس وخوف وحقد تعرض بها وتشير إلى
 أسرته : إنهم يحسنون الاصطياد ثم يتركون
 فرائسهم بعد ذلك مهياً للعذار والجوع .
 ونظرت إليها مأمونة متكرهة غاضبة يكاد
 يطفئ الدمع من عينيها وكادت تصرخ فيها قائلة
 « إلا حسين » ؛ ولكنها كظمت غبظها
 وإن أحست إحساساً مبهماً بندير لها في هذه
 الكلمات ! على أن النذر كلها لا تلبث اليوم
 أن تتبدد في مباحج ذلك الحلم الذي يملأ حياتها
 وعدت لائماً بشئ مما يتهاوس به
 النسوة والصبايا ، وأصبح يحيطها حسين وهي
 تعين ، وكثيراً ما يحملها في مقدسهن طومة
 أو كرها ، وهي ترمي عليهن عما ترين
 من دلائل حبه وإعجابه وتدل إدلالاته بربها
 سحراً وفتنة

بات يحصى ما تصرف من أيام إجازته ،
 وكان يرعجه انقضاء الأيام في سرعة ما عرفت
 مثلها من قبل . وسيفادر قريبته متى انقضت
 إجازته ما من ذلك بعد . ومع أنه لا يزال في

كما كان جاهلاً معطلاً قبل أن يعجب به حسين ؛
 ولكنها حريصة عليه ، تضعه حول جيدها
 لحظات إذا خلت إلى نفسها وتنظر إليه ملياً
 في المرأة ثم تعود فتخفيه

وعادت من زيارة السيد البدوي فقد ذهبت
 مع زوجها وحمايتها ذات يوم فقضوا سحابة
 النهار . وأنبأته سكينه أنها ألفت أكثر
 قودها في الصندوق وأنها تصدقت ببعضها
 وأنها مطمئنة إلى أن الله سوف يهب لها غلاماً
 وأصبحت تحرص مأمونة على أن ترى
 صاحبها ، فهي تتر ببيتها مرات في عمل وفي
 غير عمل . وسارت تخرج كل صباح بجربتها
 وحدها أو مع سكينه لتلقاه فتبذوه بتحياتها
 وتسمعه وقلبها يحرق بحبيها بأحسن منها
 وصار إذا غاب عنها يوماً أو يومين يرى
 عند التقائهما لطفة في وجهها وشوقاً في تحيتها .
 ورآها كلما مرت به في سرب من سواحها
 رفع صوتها لتسمعه ، وتضحك مزهوة
 وتمايل تحت جربتها الثقيلة كأنها تراقص ،
 وتعطي حفيضة مريحة لأنها تعجبه ولأنه
 يقطن إلى ما تفعل ويعجب به

وجدت آخر الأمر من يعجب إعجاباً
 صادقاً يهز نفسها من أعماقها بجملها الذي
 طالما تحسرت من قبل أن لم تكن تجد من
 يعرفه ويقدره . وأحست أنها اليوم تعيش
 عيشاً ما عرفت من قبل إلا في الحلم ...
 وأحست صاحباتها أنها اليوم مزهوة

القرية أيام طويلة ، فهو لا يطيق أن يتصور يوم أن يرحل وكأنه وهو الشاعر الذي تفتح للجمال نفسه ، يرى اليوم من جمال قريته ما لم ير من قبل ، فأسحارها وأمالها ومجالها وحقوقها وبيادرها وكل شيء فيها قد شاع فيه السحر ، وكأن كل فتاة في قريته حبيبة إلى نفسه منذ عرف مأمونة .

وبما كان على كرسيه ذات مساء أمام دلو ، عند عرج القرية إلى الحقول وقد أخذت أشعة القمر تلألأ رؤوس الشجر والنخل ، وسدو بيضاء على الجدر الطينية التي تراءى له على بعد منه ، إذ عاود خاطره ذلك السؤال الذي ظلما هجس في نفسه : ماذا ينتهي عن مأمونة ولا يعدو ما بينهما أن تراه ويراها ؟ وكيف يصدق نفسه أن ما يظنه حبا إنما هو خيال شاعر . وأخذ يتسمر ساعدا من نفسه تارة كما يفعل كل مرة ، ويصفى صيفا شديد هذا الصراخ تارة أخرى ، بل إنه ليكاد يعتقد أن ما كان يتلأ نفسه من تشويق إليها قد أخذ يتردد أن أفتته وألقها ، وراح يتفكر في هذه الحالة العجيبة من حالات نفسه ، وشعر بشيء من الارتياح لهذا الخاطر فلا ضير أن يتهمى ما بينه وبينها حتى أية صورة .

ويتمثل له قوامها الرشيق ووجهها الجميل وعيناها اللتان تراهي مثلها قط . ويتخيلها غامضة مائة في سميت كل ما عرفت ما بداخل

نفسه من تغير ، فيزعج لهذا الخيال ، ويروح يؤكد لها في خياله أنه لن يتساها مهما بعد عن القرية ، وأنه سيبقى وفيها لها معاش . وحسبه أن يراها في كل إجازة . . . وترتاح لهذا الخيال نفسه ويرايها انقباضا شيئا فشيئا . ثم يرفع رأسه فإذا هو أمام حقيقة لا خيال . فيها هي ذى مأمونة فوق رأسها مقطف تمر به صامتة لا تلفت إليه ! فيتألم ويمجب ، ثم يلتفت يمنة ويسرة فلا يرى غيرها ، فيتبعها مسرعا ويناديهما في صوت خافت ، فتقف تحت نخلة ملتفة إليه ، ويقبل عليها . ويقتن من دهشته ، ويعد إليها يده مساما فتسند مقطفها بيسراها وتبيل على يده تحاول أن تلتصقا ، فيشدها مسرعا ويقول وفي صوته اضطراب وفي يده كله نشوة

هكذا تمرين بي ولا تتكلمين !

تتالت في همس خست أن يكون أحد في مدخل البيت

فسألها : إلى أين تذهبين وحسبك في هذه الساعة ؟

تتالت : إلى حقلي البعيد أجل الطعام إلى زوجي وأخيه وأبيه ، وسكنة قديمة ورائي ، وليس في الحقول ما يخيف والقمر طالع والأرض خالية

فسألها باسمها : هل سبقت منفتك لتكلميني ؟

وضحكت مأمونة ضحكة حاوة وأسندت

مقطفها بأناملها الرقيقة وهي تنثني في عجب ،
وكان نسيم العشاء يبعث بحريد النخلة
فتسرب أشعة القمر من خلاله حيناً فتظهرها
وتخفيها حيناً فتسرها . وسمع قلبها يندق
واشتدت كذلك دقات قلبه ، ورأى شفيتها
تحتلجان ، فدنا منها حتى اختلطت أنفاسهما
ورأى في وجهها استسلاماً ودهشة . وكانت
متجهة صوب القرية فهمست « ها هي ذي
سكينة » فالتفت وقلبه يلحن سلفتها ، ورد
تحياتها في رودة ، وحسباً مأمونة وعاد إلى كرسيه
لا يدري أي حزن هو أم في بقطة ، وكانت
لا تزال ملأ بده شوة عجيبة ما أحس مثلها
أبداً ، وبخبر نفسه كيف يكون أجمل ما في
الحياة أن تحب الإنسان وأن يكون محبوباً ،
ورأى كيف تتمحى الفوارق جميعاً في الحب
بل كيف تخرج روحان فكانت في بدن ،
وفيت هو أحسن لم يعد يتصور حياته خالية
من مأمونة .

في يوم لم يرها من قبل ، ولهم اشتد ضيقه
وقدومه . ومرة ان وثالت فأظلم كل شيء حوله .
ومر به وخامس فلم يعد يستطيع صبراً ،
ودعت به الظنون كل مذهب . أمهاها
روحها عن الخروج ، هي غاضبة من روحها
عني في دار أمها : « أمريضة هي » وما
مرضاها ؟ وأين سكينة ، حتى هي لم يعد يرى
وجهها الأغر عما يريد معاوفاً وإرشاه . ولم

يجد بدا من أن يرسل عشية اليوم الخامس
من جاءت بسكينة إلى بيته ، فما كاد يراها
حتى اطمأن قلبه فليس في وجهها ما يندر
بخوف وسألها فقالت « إن بركة السيد
البدوي وسيدى عبدالعال قد حلت بها ، في
بطنها ولد إن شاء الله ، وهي راقدة من أيام ،
وما يصايقها الآن إلا القى » وسكنت
سكينة لحظة ثم قالت في شيء من التردد
« وإن الغم ليزيد أوجاعها والغيظ يبعد النوم
عنها وأنا بجانبها دائماً أنهاها عن السكاء فلا
تكد تكف عنه »

فسألها : وفيه هذا الغم وقد حلت بها
بركة السيد ؟

فأجبت من حاتها ومن زوجها : « شأنيها
تتهمها بالتمريض وزوجها يركبها في قاعة
مظلمة ولا يطرئ عليه أن يسأل عن حالها يوماً
فإنه لا يكاد يربط جملة في العشية وقد جاء من
عمله ورائي أمامه العلف ، حتى يصعد إلى
السطح فينام إلى الفجر ثم يخرج إلى الغيط
فقال في غيظ : وماذا يعنيها من هذا القرد ؟
فقال : لقد كان يكرهها لأنها لم تحمل
وها هو ذا تولد في بطنها ، وإنه أيجزها أن
تظل معرضاً عنها .

فقال مفكراً : الغيب . انتهى و
فقال : وشوقك إليها يا سيدي
أعرف ذلك وهي والله مشتاقة إليك
كثيراً ما تذكرك

الرجال تحية الإسلام فاعتدلوا واقفين في احترام وردوا تحيته ثلاثهم في اهتمام وجههم لقد كانت مريضة حقا ... ذلك ما يراه في وجهها وبدنها ؛ ثم أخذ وقد زال اضطرابه ينتبه إلى ما دب في نفسه من إحساس بالفرح لرؤيتها بعد هذه الغيبة ومن شعور بالخوف مما تم عنه نظرتها

إن في عينها نذرا له ما في ذلك شك . هذا ما فسر به نظرتها . لقد لح في عينيها الاعتذار والأسف ، ومض الألم والحزن . إذن فلينظر القطيعة وليوطن نفسه على تحملها . وأوسك في ضيقه أن يرحب بهذه القطيعة ففيها سقاؤه من هذه الحيرة الأليمة . وعاد يسأل نفسه في حزم ماذا يريد من مأمونة ؟ إن واجبه ألا يخدع نفسه أكثر مما فعل . ما غايته من حبه هذا ؟ أيستطيع أن يمتحن هذا الجمال ؟ إنه إن قبل أبطل سحره ، وزر كه سلعة رخيصة ، وماذا يبقى من روعة الحلم إذا عد وليس بحلم ؟ قطيعة ؟ كلا . كلا . إنه يفرغ من مجرد اللفظ . إنه واضح . لما رآه في عينيها إنما هو شكاتها من روحها . ومن سقمها .

قالت مأمونة تحدث سلفها تحت الصفصافة وهما يطعمان لقيات من الخمر القديد والمخلل والمش « ما كنت أحب

البقية على صفحة ٧٦

تقال في ملحمة الأمر : خذى هذا وإياك أن تعلم مأمونة . اشترى لها ما تريد وانتحلي لما معك من مال مصدرا آخر . أفاهمة أنت ؟ فأجابت : حاضر ياسيدي . رناتيقيك

نسا

كان بعد ذلك بأسبوع على ظهر مهره الأسود في جلده التلي الأبيض الفضفاض تصعد حقا من حقول أسرته البعيدة عسى أن يشي بعض شيء . وكان النهار قد متع واشتد القيظ فزاده ضيقا على ضيقه ... وكان يحس الوحشة في كل شيء ، ويعجب أين ذهب ما كان ، شيع من سحر في كل حي وفي كل جماد ! وكانت توسوس له نفسه بما عسى أن يكون في كلام سكينته من اختلاق حتى يكاد يجرم أنه الحجب مأمونة إنما هو سبب غير المرض ؛ ولئن لم يكن يدرى ما هو ، فهو يوجس منه خيفة ، وراح ينتقل من خاطر إلى خاطر كما ينتقل به مهره من ظل شجرة إلى ظل أخرى ونظر على بعد وقد انعطف به مهره في طريقة فلاحته الصفصافة الحبيبة ، ورأى عندها في الحقل عطية وحسنا وأباها ، تخفق قلبه ، وأنعم النظر فتبين هناك نسوة في ظل الشجرة تحجس بعض الدواب . أترى مأمونة فيهن ؟ واقترب من الشجرة فإذا هي هناك ! وإذا بها تسترد نظرتها إليه في سرعة وتمتحة صوب الترععة . وألقى إلى

نِقَظَةُ الْقِيَمَةِ

لنورسرف

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

وأشترى لك من أربابى بعض الهدايا التى
تلا المرس « وهنا ودع أسره وأسرع
إلى غايته

وفى منتصف الطريق هبط إيفان فنده
يطلب الراحة والجلم . وهناك لقي صديقا
من التجار جلسا معا يتناولان الشى
وبسمران حبنا ، ثم انطلقا — بعد حين —
كل إلى فرائسه فى حجرين متجاورين
بينهما باب

وعند الفجر هب إيفان ليستأنف راحته ،
فهر قد تعود أن ينام مبكرا وأن يسبحو
مبكرا . وبعد أن طوى خمسة وعشرين ميلا
هبط فندقا آخر ليفدى رواجه وأحمت
الحيول تلهم العلف على حين اتحن إيفان
ناحية من الطنف بعرف على قنارته

وأخذه النشوة فافاق إلا على صوت
عربة تقب على حين نجاة لدى باب الفندق .
وهبط من العربة ضابط وجندبان . والعطف
الضابط من فوده صوب إيفان بسأله : من
هو ، ومن أين آتى ، وإلى أين يذهب .
وكيف قصى الليلة الماضية . وهل قابل تاجرا

إيفان إكسينوف تاجر شاب من بحار
مدينة فالديير ، يعيش فى سعة من العيش ،
فهو يملك منزلا ودكا كبن . لقد كان إيفان
شابا أنيقا يتقد نشاطا وبتوب مرحا ،
يهوى الفناء ويميل — هونا ما — إلى
الشراب ، فإذا أسرف فيه عربد . ولكنه
حين تزوج عزف عن الشراب إلا صبايات
تستهويه بين الفينة والفينة

وفى ذات صيف عقد إيفان العزم على
أن يرود معرض نيزنى يشتري ويبيع .
وحين أقبل يودع زوجته بأدته بقولها :
« لا ترحل اليوم يا إيفان ، لأننى رأيتك
الليلة فى حلم مزعج »

فضحك إيفان وهو يقول : « لا عجب
إن أنت خشيت أن تزوبى زوات الطرب
حين أغتمر فى نشوة المعرض »

فأجابت الزوجة : لست أدري مم أخاف ؛
ولكننى رأيتك فى منامى تعود من المدينة
فتخلع قبعتك فإذا رأسك يشتمل شيئا
فضحك الزوج مرة أخرى وهو يقول :
« هذه علامة سعيده ، سأبيع بضاعتى كلها

تخونك . فحدثني كيف قتلت الرجل ؟ وكم من المال سرقته ؟ »

وراح إيفان يقسم أنه لم يفعل ، وأنه لم ير الرجل منذ ، ساء الأمس ، وأنه لا يحمل مالا سوى ثمانية آلاف روبل هي كل ماله هو ، وأن السكين ليست له . ولكن صوته كان مضطربا متكسرا ، وكانت صفرة الخوف تعلو وجهه ورعدة الاضطراب تسيطر على أعصابه كما لو كان هو المجرم الحقيقي

وذهبت الصيحات هباء . وأمر الضابط قتيلا الرجل وألقى في العربة ليودع السجن وجاء يوم المحاكمة فأدين المتهم بقتل التاجر وسرقة عشرين ألف روبل كانت معه ، فحك عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة وجلب حتى دمي جلده ، وأرسل إلى سيبيريا ليقضى ما بقى من عمره في العذاب المهيمن

وذهبت الزوجة إلى زوجها السكين تحمل الأسى واليأس في صدرها وتحمل على كتفها أطفالا صغارا لم تفتح عين واحد منهم - بعد - على الحياة . ورأت زوجها يرسل في الأغلال الثقالة وقد تسربل لباس السجن ، تضمه قضبان السجن ليكون لصا بين لصوص ، وليكون مجرما بين مجرمين ... رآته على هذه الحال فاستولى عليها الغم فسقطت فاقدة الوعي فما أفاق إلا بعد

آخر ؟ وهل قضيا معا الليلة ؟ وهل رأى كل منهما الآخر صباح اليوم ؟ ثم لماذا غادر إيفان الفندق في غفلة من الناس ، عند طلوع الفجر ؟ ...

لقد كان إيفان يسمع هذا السيل من الأسئلة ويحب وهو في حيرة . فهو في سبيله إلى غاية شريفة لم يقترف ذنبا ولم يجترح إثما وسأل إيفان الضابط : فيم كل هذا ؟ فأجابه الضابط قائلا : « أنا ضابط بوليس الناحية . وأنا أستجوبك لأن التاجر الذي قضيت معه ليلتك الماضية ألقىناه في الصباح قتيلا . ولابد أن نقش متاعك . ثم يدفع الضابط والجنديان إلى متاع الرجل يفتشون ، فعمروا بين متاعه على سكين لوثت بالدم ، وصاح الضابط في وجه إيفان « لمن هذه ؟ » ونظر الرجل إلى السكين الملوثة بالدم وهي تجذب من بين متاعه فارتاع وحول أن يدفع عن نفسه ؛ ولكن الكلمات ماتت على شفاهه إلا كلمتين « لست أدري »

وقاطعه الضابط قائلا : « عند الصباح وجد التاجر قتيلا قد حزت رقبتة . وأنت الرجل الوحيد الذي يمكن أن يرتكب الجريمة . لقد كان الباب مغلقا من الداخل ولم يكن هناك غيركما . وهما هي ذى السكين الملوثة بالدم ، وبين متاعك ، وهما هي ذى أعصابك

ومضت ست وعشرون سنة في العذاب
النهين ... مضت السنين الطوارق فأحالت الرجل
الشاب إلى رجل آخر شاب سمرة واستقرت
لحيته وأخبر ظهيرة وران العيوس على وجهه .
يشي في بطنه . وتكلم عن الكلام فلا تكلم
إلا « ذرا » لأنه فرج شفاه — أبداً — عن
القسامة ؛ وهو بعد يقضي وقته كله يصلي
لله وحده .

وفي السجن لهم يقضي صلاة الأحمية ،
فهي كمد عيسه قليلا من البرق يعينه على
قضاء حاجته . ومما ربح من صناعته
اشترى كتاب « حياة القديسين » وراح
يستظهر صفحت من كتابه وحده الضوء في
السجن المظلم . وكان يذهب أيام الآحاد إلى
كنيسة السجن يقرأ لرفاقه الدروس ويرى
الأقارب يصوت فيه النغم الموسيقي الأحدث
ومضت الأيام فإذا بإدارة السجن
تكشف عن خلال كريمة انصف بها إيفان .
فهي ترى فيه الدعة والمطرب والاستقامة
والدين . وإذا رفاقه يحسون باحترامه
ويشعرون قدرته فيلقبونه مرة « بأجد » ومرة
« بالقدس » ثم اتخذوه محاميا يدافع عنهم
بالحق ووجدوا فيهم بالعدل .

وامتدحت عن إيفان أخبار أسرته —
زمانا — . عاد يسمع عنهم شيئا
ولي ذلك صباح أقبلت منه من المذنبين

لأنه وجست روضة إلى زوجها . وقد
عصف بهد الجرن والسكد سانه : « ماذا
عسى أن تفعل ؟ » قال : « يجب أن ألتبس
العفو من القيصير ، فهو لن يدع بريثا يهلك
نجره عيرة » . قالت الزوجة : « قد فعت
وسكن القمصاني . بل القبول » فأطرق
الرجل في رأس واستمرت الزوجة تقول :
« لعلك تذكر حديثي ساعة الوداع » . لقد
حدثت من السفر في ذلك اليوم ... وسكن
خبر أن زوجته اغلصة الوفية ... خبرني
أخبر الصحيح . بل لي أفعلت ؟ »

صاح الرجل من أعماق قلبه « حتى
أن ... » . حتى أن يسرب الشاك إلى
نفسه . ثم عطف وجهه بكلمة يديه وانخرط
في مسكاه طويلا . ولكن اجنود لم يهابوا
الأسر المستمع والفد طويلا فأمرؤا الزوجة
والأطفال بالاعتراف فخرجوا والرجل
أخرى يومهم بوزع الأخير .

واستطاع إيفان بعد حين أن يمسك
نفسه وأن يسيطر على أعصابه ، فتذكر
حديث زوجته وراح يسأحي نفسه « إنه
ليصور لي أن الله وحده هو الذي يطلع على
خائنة الأنفس ، فإني وحده يجب أن أرفع
الذات باللهاء ومنه وحده يجب أن ألتبس
الزوجة » وهكذا فقد إيفان كل أمل في
الإيمان وأخذ يصلي لله وحده .

سيمونييتش هل تعرف أسرة أكسيوف
التاجر . ألا يرالون أحياء ؟

وقال الرجل متعجبا « أعرفهم أو كيف
لا ؟ إني أعرف الكثير عنهم . . . »

أغنياء ولكن عائلهم هنا في سيبيريا قد أودع
السجن . أما أنت يا جدي فكيف جئت إلى هنا ؟

وميشا إيفان أن يتحدث عن نفسه :
ولكنه أرسل من بين التهنيدات العميقة

كلمات متقطعة « إن ذنبي قد دفن إلى
السجن لأعيش فيه ستا وعشرين سنة »

فقال سيمونييتش « أي ذنب اقترفت ؟ »
فأجاب إيفان في أنسي « لا بأس فإني

— ولا رب — أستحق كل ما قالته »
ثم سكت . ولكن رفاقه أخذوا ينصتون

على أوافد الجديد قصة إيفان كلها وهو
يسمع في دهشة وينظر إلى إيفان في عجب

ثم قال « عجيب ، عجيب جدا ! ولكن
كيف أصبحت شبيخا هكذا ؟ »

وعجب الزفاق من كلمات سيمونييتش
وتحدثوا حوله ينطرونه بوابل من الأسئلة

يريدون أن يستعلموا جلية الخبر ولكنهم لم
يجب إلا بقوله « إنه عجيب — يا رفاق —

أن تلاق هنا »
ورثت الكلمات في أذني إيفان ورجى

إليه بأن هذا الرجل يعرف سر مقتل التاجر
فقال له « لعلك سمعت يا سيمونييتش عن

إني السجن ، ونجمع السجناء زمرا والتف
القدامى منهم حول الحديثين يسألونهم

وينصتون الأخبار ، على واحدنا بسمع شيئا
عن أهله وأسرته

وجلس إيفان في ذلة وانكسار يتسمع
إلى حديث رجل طوال منكثل العضل

قوى البنية قد شارف على الستين من عمره
وقد استرسلت لحبته على صدره . . . جلس

إيفان يسمع إلى قصة الرجل وهو يحكيها
يقول : « يا رفاق ! إني لم أفعل شيئا

سوى أنني وجدت حصانا شديدا إلى عربة
فنككت رباطه وركبته لأبلغ المنزل في

سرعة فقبض على واثمعت بالسرقة . ولما
سئلت قلت : لقد أردت أن أبلغ المنزل في

سرعة ثم أطلق الحصان فيعود إلى حيث
كان . هذا إلى أن صاحب الحصان صديق

حميم . ولكنهم لم يسموا الحديثي فجئت إلى
هنا في غير ذنب ، وفي الحق لقد ارتكبت

في شبابي جرما كان جزاؤه أن أساق إلى
هذا السجن ، ولكنني أظن من العدالة . .

وقال له واحد « ومن أين جئت ؟ »
قال الرجل « جئت من فالدينير فانا

من هناك وهي بلدتي . إن اسمي ما كراوهم
يسموني سيمونييتش »

ورفع إيفان رأسه لدى سماع هذه الجملة
وهو يقول « من فالدينير ؟ خبرني إذن يا

«مقتل التاجر»

«قال له» نعم فإن الشائعات قد جابت الآفاق، ولكن عدا شئ انطوى منذ زمان ولمست الأيام آثاره فسيته الذاكرة»
«قال له إيفان» ولكن املك سمعت عن القاتل»

ضحك سيمبوينتش وهو يجيب «لا شك أنه الرجل الذي وجدت السكين بين متاعه، وإذا كانت السكين قد دست بين متاعك فالذي فعل ربي حتى يدان. ولكن كيف يستطيع رجل أن يدس سكيناً في حقيبتك وهي تحت رأسك ثم لا تستيقظ»
وسمع إيفان كلمات الرجل فأيقن أن هذا الرجل هو القاتل الحقيقي. وصدمته الحقيقة فانطوى على نفسه طول الليل يحرق همومه وبين عيبيه أخيلة لا حصر لها تضطرب فلا تستقر: لقد رأى زوجته في الشباب والجمال والرحم كيوم ودعها لينطلق إلى العرض، وسمع كلماتها وصحكتها زن في أدبه. ورأى طفليه الصغيرين: الكبير في معطفه الأبيض، والآخر على صدر أمه تحنو عليه. ثم تراءت له نفسه شاباً في عنقوان الشباب والقوة والنشاط، يمزح متى شاء ويضطرب إذا أراد. ثم سرت الحوادث أمام ناظره فإذا هو في شرفة الفندق يعزف على قيثارته، ثم إذا هو بين

يدي المولاس، ثم أمام المحكمة ثم ... إلى أن انطوت ست وعشرون سنة وهو حبيب هذا السجن البغيض. أفكان كل ذلك في سبيل هذا الحريم الأثيم سيمبوينتش؟ وثارت ثائرة إيفان بدفعه إلى أن ينطلق إلى هذا الوعد ينتقم منه شر انتقام، ولكنه كثر وورثه في نفسه وراح يردد أذعيته طول الليل. غير أن الأذعية لم تسكن في هذه المرة فائدة على أن تطلع شفاف قلبه فتبعت فيه الهدم، الراحة، وفي أثناء النهار كان إيفان مرض عن غمرته فلا يراه ولا يجلس إليه ولا يتحدث.

ومضى سبوع وإيفان لا ينام الليل ولا يمر قراره بالنهار

وفي ذات ليلة ذهب إيفان ليحول في أنحاء السجن فرأى فوهة خندق قد حفر تحت أحد الرفوف التي ينام عليها السجناء فوقف. هة يستطلع الخبر، فإذا سيمبوينتش يقف من داخل الخندق وينظر إلى إيفان في دمع. وحاول إيفان أن يسير في سبيله ولكن الرجل أمسك به بحذائه في فرع حديث الحفرة وحديث الأمل في الهرب من السجن وهو يقول: «لا بد أن تحفظ السر من نفسك فستتمكن أنت أيضاً من الهرب» فإذا أفضيت السر فإنهم سيجلده حتى أموت ولكن سأقذك أنت أولاً»

فقال إيفان ومودة الغيظ تسرى في عروقه « أم أنا ولا أبتنى الحرب ، وأما أنت فاستدعي حاجة إلى قتي لأنت قتلتي مائة من الناس ، وسواء أحفظت السر أم أديته فإن إرادة الله نافذة حتماً »

وفي اليوم الثاني عشر الجند على موضع الخندق ، وجاء الحاكم — حاكم السجن في ثورة يستجوب السجناء ليرى أيهم ارتكب هذا الجرم . ولكن واحدا ممن يعرفون صفة الأمر لم يستطع أن يخون سيميونيتش فركشف عن السر . وفي النهاية توجه الحاكم إلى إيفان وهو يقول « أنت رجل صادق فخبري الحق » واختلطت مشاعر الرجل فهزت أعصابه وتناهبته عواطف محزنة ومجادبته آراء متناقضة تركته لا تفعلالات حتى فظطر إلى عرقته نظرة خاطفة ثم حدث في الحاكم وهو يقول : « إنني لا أستطيع أن أحدث . إن إرادة الله تمنعني من الكلام ، فافعل بي ما تشاء ، فأنا بين يديك »

وحاول الحاكم أن يستل من إيفان اعترافا ولكن جيوده ذهبت كلها هباء ، فلم يجلق بكلمة غير ما قال

وسمر الرجل بأنه أسدى دما إلى واحد من الناس فسنامتي — أول الليل — على سريره وأخذت سنة من السود تداعب

جفنيه ، وقبل أن يستغرق في نوم عميق شعر بأن رجلا قد جلس على حين سعة على سريره . فاستيقظ ينظر فإذا سيميونيتش يجلس بهوارده ، فقال له « والآن ماذا تريد ؟ ماذا جئت بك ؟ » وسكت سيميونيتش فلم يفسس بحرق وهب إيفان من رواده بجرحه « لا » ماذا تريد ؟ أذهب عني ! سأأخذني الحارس إن لم تعجب حالاً !

ولكن سيميونيتش قبل يهدس في أذني إيفان في طرعة « اعف عني ، اعف عني يا إيفان ، فإني أنا الرجل الذي قتل البجير وحياً السكين بين متاعك . لقد كنت على عزم أن أقتلك أنت أيضاً ولكني سمعت صوتاً خرج الخجيرة فخبأت السكين بين متاعك ووقرت من الشباك أظلم الحرب » وتخير إيفان فما بدرى ما يقوى . ولكن سيميونيتش هبط من فوق السرير وزكع في الأرض وهو يقول « اعف عني ، اعف عني يا إيفان ! فسأعترف بكل ما كان وسيدخل سبيلك فتذهب إلى أهلك »

فقال له إيفان « إن من الخبث عليك أن تتحدث ، ولكنني قد قسيت من أجلك ستاً وعشرين سنة . فإني إن أستطيع أن أذهب : لقد مات زوجتي وسببي أولادني فإني أين أذهب الآن ؟ »

ولكن سيميونيتش لم يرفع رأسه وراح

يُرِيدُ أَنْ يَنْسَاهَا

للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

المكتملين للشقة سكنت ونامت ، وسمى
جو « البدروم » مشبعا يارطوبية أكثر من
قبل ، وذلك أيضا لأن الليل خطا خطوة
جديدة نحو الصباح

وخفتت الأصوات في الخجرة الملائمة
التي يسكنها طالبان من طلبة الأزهر ، حتى
بينهما وطيس الجدل قبل أن يندسا حول
مسألة لا يدري طالب الطب أفعية هي
نحوية ؟ !

وأخذت أفكاره تتضح تحت رواق
الليل حتى لكانه يلمسها لها ، واستمع
من جديد إلى خفقات قلبه فاسترسل معها

قضى سواد ليله وهو يعد خفقات قلبه
فغناه بعدها ويتدبر معناها تدبر شاب
يدرس مهنة الطب ويقف إلى مائدة التشریح
ليعمل مشرطه في جوارح وأعضاء كان
يخاف عليها أصحابها هبة التسميم !

وأخذت أفكاره تتضح كلما خطا الليل
نحو الأمام خطوة وخطت الحركة في المدينة
نحو الوراء ، خطوة عكسية حتى لم يعد يسمع
جمجمة عربية ولا خفيف سيارة ، وكلها يمر
من فوق رأسه فتدخل إليه الضوضاء من
خلال النوافذ لأنه ساكن في « بدروم »
وحتى الحركة في الحجرتين الآخرين

لا يحمل ضغنا ولا يحوى حقدا ، وأحس
أنه لا يريد أن يغادر السجن وأنه
تقرب ساعته الأخيرة

وانطلق سيمونيوتش إلى الحاكم كليموف
بجرمه القديم ، وصدر الأمر بالإفراج عن
إيفان ، وحين انطلق البشير ... انطلق
ليرى الرجل القديس قد أسلم الروح

لأمل محمود صبيب

يستعطف إيفان قائلا « اعف عني فبن
وقع السوط على جلدی حين جلدونی لم
يكن بأقسی من نظرائك إلى ... لقد
رحمتنی فلم تتحدث عن جريمتی ، والآن
التمس أن تعفو عني ... » ثم أجهش بالبكاء
وسمع إيفان تشييع الرجل فانخرط هو
الآخر في بكاء طويل وهو يقول « يعفو
عنك الله ... يعفو عنك الله » وأحس
حينذاك أن قلبه قد أصبح طاهرا نقيًا

إذن فهو لم يرها منذ أسبوع . منذ
الخميس الماضى بعد أن أمسى الساء فلقها
فى مسكنها . وبعد أن قضى معها فترة من
الوقت هبط درجات السلم المظلم الدائر وقد
صح عنه على ألا تطالع عيناه معارف
وجهها الخلو مرة أخرى ولو أحرقت أوصانه
النار . ولم تكن هى تعلم بأنه اتخذ هذا
القرار . إلا كان من الجائر جدا أن تلقى
بنفسها من النافذة على مرأى منه حتى تضمن
أن يسجى جسدها يمينه .

ومر الأسبوع كالحا ثقيلا كان فيه
أشبه بمن يعيش فى دوامة ، لكنه كان مصر
على ألا يرجع خطوة واحدة إلى الوراء .
لا اعتبارات شتى أهم ما فيها أنه يريد أن يضع
نهاية لهذا اللون من الحب ، وأنه جعل
رجولته فى كفة وجعل السلوان فى كفة
أخرى ، وأنه أراد أن يضع رجولته كذلك
فى بوقنة تجربة عالية الحرارة لبستيقن من
أنها ستثبت على الصبر

وهكذا مر الأسبوع . وخرج فى صباح
يوم الخميس آخذا سمته إلى الكلية ، وكان
منشرح الصدر نوعا ما لأنه لم يحس ضعفا
خلال الادة التى انقضت وإن قاومت نفسه
ضموبا من الحنين وألوانا من الأفكار .

والتف الطلبة حول متفردة التشرخ
فى الترحمة وبدأوا يستلون أسلحتهم ليعملوها

وعاش ، كما تسترسل مع النغم حتى تحال أنك
ساح فيه . ثم جمل يسأل نفسه عن عدد
حفقاته منذ دبت فيه الحياة حتى جاوز اليوم
من العشرين ، وإلى أى مدى ستدوم هذه
الحفقات ؟ كم من ملايين الملايين سيلعب
عندها يوم أمات ؟ ! ياله من عضو نشط
سهر حتى دخن نيام ؟ !

ثم أمسك لأنه اتقه إلى دقائق ساعته
من تحت الحدة وابتم حين رأى بين
الحجازين تشابها عجيبا . كلاهما يدق ! !
هذا يدق فيجعلنا نحس الوقت لأننا نعيش ،
وذاك يدق فيجعلنا نحصى الوقت لنعرف
كم نعيش ! !

وتخلصت أفكاره من استطرادها
الطاري فعدت إلى ما كانت فيه من قبل .
ذكر القلب وحفقات القلب ، فاستحضر
صورته كما رآها فى حجرة التشرخ ، له
أذنان وبطينان ، وأوردة وشرابين ،
وأشياء أخرى . لكنه وثب وثبة كبرى
فخرج من دنيا العلوم إلى دنيا المواطنف ،
ودكر اليوم الحاسم الفعال فى علاقته معها
ثم بدأ يستعرض القصة

كان يريد أن يأساها ولو أن كل شىء
يدكرها . وهذا هو الأسبوع قد دارت
دورته وخاء صباح الخميس

في حوار جاف عليها أصحابها هبة النسيم
وكان بين أيديهم في هذه الحصة ... قلب !
وقلما ينسأل الطبيب وهو يعمل الموضع
في هذا العضو المميز ، وعاء العواطف ،
قلما ينسأل : ترى قلب من هذا ؟ وإن
سأل مرة أو مرتين فغالبا ما تتخلف الثالثة .
وإذا امتنعت بمنطق ما بك ستسلم باستحالة
أن يسأل الطبيب نفسه قائلا : ألق قلب امرأة
هذا . أم قلب رجل ؟ وبعد ذلك يعتمد
في القلب السلاح النفسية من يعتمد المديّة في
جلدة الطبيب . وهذا هو ما يجري في حجرات
التشريح .

الكن الذي حدث صباح يوم الخميس
كان غير ذلك ، لأن أحد الطلبة من التفوا
حول المتصدة لسأل بعد أن علت شفطيه
البنسامة خبيثة : ترى قلب من هذا : ؟ !
فهمس في أذنه طاره الأيمن وكان كثير
الرح يقول له : « ولا القلب إلا أنه
يتقلب » هذا هو كل ما تخلف في ذهني من
رواست الدرس الثانية ... هل تعرف
صدر هذا البيت ؟ - النا ولصاحب هذا
القلب أيها الزميل ؟ فقال الأول : حسبتك
تعرف صاحبه . فأنقسم الجار الأيسر ، وهو
صاحب القصة ، ثم مال إليهما مستغربا
موضوع الحديث لما كان من الطالب
الأوسط إلا أن همس : إنني أعرف صاحب

هذا القلب !

ثم اقتطع الحديث بعد ذلك . وبدأ الطب
يسيطر على الحقوق التي فرضتها الحياة للجسم
والقدسية التي فرضها الموت للأعضاء ، فأعادت
في القلب الشارط وحى وطيس الدرس
فسي المتأملون ما كانوا يصدّون من قول
لعل بعضه كان بفضة شاعرية وبعضه الآخر
كان دعابة من دعابات الشباب

لكن الطالب الأوسط ما لبث أن أعلن
بعد انتهاء الدرس على مسمع من المجموع أنه
يعرف صاحب هذا القلب . فأقبلوا عليه
يستفسرون في فضول مختلف الدرجات
فقال وهو يتضحك ملء صدقيه : إنه
قلبا ... قلب الكرم الحياء ... حسنا
جادة الغناء ... في درب الخوخة مرة ...
هل فيكم من يعرف اسمها ؟ ... كان
اسمها جمالات !

فتضحك بعضهم ضحكة ماحنة منقمة :
« هي . هي . » ليرحمها الله !

كان عاهد نفسه أيهاها ولكن
الأقدار أراسته من هذا الغناء .

أقبلها يوم الخميس وودعها دون أن
تشمع بوداعه ، ثم حمد نفسه في الخميس التالي
أنه ثبت على التجربة وهو لا يدرى أن هذا
أقوى من كل شيء يستحوذ به ويبتها إلى

حين اكتشف بين أنقاض الجصم وخرائب
المدى روحاً جميلاً شفافاً اندفن تحت هذا
الركام

وحدثت المداقة بينهما تخرج نمو
الصدقة رويداً رويداً ، واختفت الريت
بالرئيق حتى الرغم من كل شيء ، لأن طاب
الطلب كان يعتذر لنفسه كلما دفعه إليها
قلبه متملاً بأن الريت والرئيق من الخيال أن
يترجى ، وسينبق كل منهما منفصلاً عن
صاحبه ومن طالت مدة التجاور .

وكان يلقي من أمره عسراً عند كل
افتراق لأنها كانت تنسحب به لشبث العريق
بالفدين وسكاد تعلق بأذيانه كما تعلق الصبرة
الأيسة

سكنه قرر نجاة ألا يلقاها ...

وكان ذلك عقب تقديم هدية إليها ،
ولم تكن هو من اليسار بحيث يستطيع أن
يقدم إليها كثيراً ولم تكن هي من
الاستغلال بحيث تطلب منه أي شيء .
فأحسن خجلاً وحسرة حين تخيل أنه
يقترضها من خزانة القلب بطريق « المقاصة »
فكأنه يأخذ من العطف متعة ، ومن أجل
ذلك قدم إليها هدية !!

كانت خاتماً جميلاً فيه ثلاث حبات من
النس . النسبا إياه وهما مستغرقان في
الحديث ، فلما انتهت إلى ما فعلت شجعت

مدى لا يعلم غيبته إلا الله !!

وقضى سواد ليله وهو يحصى خفقات
قلبه في خلال السكون ويسترجع صورة
قلبه تحت وريش التصال ، تخيل إليه أنه
كان يخفق تحت جناح وهو في هذه الحالة ،
فستقطع الأمر وقد يصرخ في ظلام العرفة
ثم مسك يسأل نفسه : أين موضع الحب
من قلوب الناس ؟ وعلى تعثر فيه أحراق
الدمع على موائد الشريح ؟ ألا ليتني أعلم ؟
وهم بأن صرخ مرة أخرى لكن
تجبر الصرخ : أبو المعاطي في الحجرة
اللاصقة انتهى إلى سمعه ونجاه عن تيسار
أفكاره شيئاً . حين قلب حياة جارد في
لواحي فكره وتلى أن فتاح له هو مثل
هذه الحياة ... الحياة الباردة التي لا يصرخ
في وادحها نبي .

سكن جمادات ، حسناء درب الخوخة
وحت أبواب مسكرة مرة أخرى : إليهم
لا يعمون أنه الشخص الوحيد الذي وفق
فلتقي بالشخصية الشريفة في جسدها البتذل
حين أصبح هو في حياتها أنسبه بالواحه
وحيدة في مخرج دنياها الواسعة الخديبة
دخل حجرة بها أول مرة وهو متأبط
ذراع الشيطان ، فدخلاً يقفها ثم خرجا
يقفها ، مسكرة التحيرة لكن طالب
الطلب خرج في المرة الناشئة وهو حزين سادر

يخبر أمه في رسالة أن الخاتم قد فقد ،
حزين يشمر بالإثم ويطلب المغفرة

والتفتي أسبوع على هذا الحزن
ولعلها كنت تنتظره في كل مساء لئلا
تخلت . ثم وقعت السكرانة وشربت خمر
درب الخوخة السم في كأس من الشراب
دسه لها خلدن ربما كانت قد عنده بطا عظم
على قلبه وسمطها على جيبه أو منضمها
عليهما معا . ونقلت إلى المستشفى وعسيت
معدتها لتخضع من السم ولكن لم
تسرب إلى صدر شفي فأستقي ، وخذع ، ففقد
فالتببت رثاها كأنما شرب فيها حريق
وركبها المذيان وهو واثق أنه كان موصوف
هذيانها .

وها هو ذا الليلة يحصى دقات دمه
ويتحسس في ظمة الزمن يوما سيبكف دمه
عن الخفقان لأن موته ذكره بالموت
ثم مال ميزان المعركة أخيرا ، وانتهت
الحياة فبدأ يفكر في طريقة السوان
ونزل من فراشه وتحسس زر النور فضاء
الفرقة ...

وجلس على مكتبه وأمسك القلم كأنه
أمسكه ليكتب شيئا ...
لكن التفاتة حانت منه إلى خزانة
الكتب فرأى على حافتها العليا شيئا تعلق

سائلة مبهوتة وإن أشرق وجهها النحيل
بنور فرح ضئيل قالت : « أهو لي ؟ ... »
هل أستطيع أن أرفضه لا ! ... أخشى أن
أغيبك ... أو أن أزهقك »

ثم تبين له بعد ذلك أنه فعل أمرا منكرا
لأن البون شامع بين كف أمه والكف
التي تحتمت به الآن . وقعت في ذمته قطية
معتدة لأن الموازنة بين المرأتين في هذه
النقطة جعلته يضع جمالات في نفس المكان
الذي يضمها فيه كل الرجال . وكاد ينكر
نفسها العظيمة التي طمرت تحت أنقاض
الحسد بفعل أيدي الناس !!

ثم لح به الفكر حتى وضع المرأتين
متجاورتين فرأى أمه الريفية وعلى رأسها
نارحة سوداء تستدير مع استدارة الوجه
وهي راكعة عند المدخل على سجادة من
الحصير . ثم رأى جمالات وقد تنثر شعرها
في فوضى مثيرة وقد تسكون مربية ، فهي
امرأة تزين في كل يوم عشرين أو ثلاثين
مرة ، وتعرف دخولها بعد إحصاء عدد مرات
لزمته !!

وبعد . فهذا الخاتم يحمل ذكريات
عريضة . حملته أمه إياه ليصلح بعض فصوصه
التي انحلت من مكانها ثم يعيده مع من
يراد أهلا لحل الأمانة ... لكنه خذ الأمانة
وسيقف بعد ذلك موقف الكاذبين حين

امتحان زوجه

للطبيب الفرنسي ابل سرنز

بقلم الأستاذ محمد عيسى

رباب الخير والإحسان - فهي لا تنظر حتى
يقصد النساء إليها طالبين، بل تختلف إلى
مساكنهم وأكواخهم لتسبح عليهم العطائا
ولا تدخل عليهم بالنصح . فالحال بعريهم
بأنساع صحتها ، والنصح علمهم كيف
يحفظون ذلك المال وينفقون به . وكان
القصر بعد ذلك ملجأ كل من يتعطل عن
العمل ، فإذا كان شابا أرسل للعمل في
الحقول ، وإذا كان فتاة ألحقت بحظائر
الماشية ، وإذا كان شيخا أو كهلا دفع إليه
الكتان ووكل إليه غزله . ثم ترسل الخيوط
إلى مهرة النساجين يصنعون منها الأقمشة

تسبح هذه إليها القادى المريرة قصة
مراقبة ، بل تجد فيها ما يوجد عادة في
تلك القصص من أخبار الجن والشياطين
و... أسس البحر اللأى بمنسلن في صو ،
لهم ، ولكنك ستجد فيها ما هو أعجب
من ذلك ، ستجد قصة امرأة جمعت من
الشخص إشراقها ، ومن الشهد حلاوته ،
ومن النساء جميعا حلة الإخلاص والوفاء ،
تلك هي سيدة قصر « كرخان » ،
حبة النبيل أوليفيين دو كرخان ، التي كانت
على سمو مكانها ، وعلى ما أسلفنا من
حسها الباهر ، أما للفقراء جميعا وربة من

الأخرى جمجمة امرأة ... لأنها صغيرة

الحجم

وابتسم في حيرة وهز كتفه برفق ثم
قال : حائر ... حائر أنها كانت مثل
جالات ... من يدري ؟!

ثم أطفأ النور وتحسس صريره إلى
القراش مرة أخرى

محمد عبد الحليم عبد الله

به نوره

أوناج قليلا وأحس أنه إن قلق
ستطيع أن يجد هنا موثلا للهدوء !!
كانت عيناه عالقتين بجمجمة وضعت
على أعلى الخزائنه ، قرأى عظمها الخاوى
نهاية لكل أس والعينين بركتين ،
والفم تجوينا قبيحا ، والأنف مدخلا يوحى
الفناء فقال في نفسه : هيه ... إنها هي

مختلفة الأشكال والأحجام ، ثم تكس تلك الأقمشة في أقبية القصر الفسيحة ، إذ ليس لصنعها من هدف إلا إيجاد العمل للمواطنين ...

ومن محاسن المصادفات أن مسيو أوليفيين دوكرجان روح السيدة - كان موافق على جميع أعمالها ، وقد صار ينظر بعينها ويحس بإحساسها . وإنه ليتنى على الشيء تصنع قبل أن يراه ، ولا يحظر بباله أنها قد تخطئ أبدا . وكانت هي أول شاكر لهذه الثقة وأول عارف للجميل ، فلم ترح تقول في مرحها الماثور إنها ما كانت لتخون أمانة زوجها حتى يطير الديك الحديدي الذي يزين برج كنيسة بريفان !

ثم عرض للزوج ما اقتضى رغبته إلى باريس ليثل بين يدي ملك فرنسا وقتذاك - لويس الرابع عشر - فأقبل على زوجته طالبا منها أن تراقبه فقالت :

- وددت يا عزيزي لو تتركني ههنا وتذهب وحدك ، وإلا فإذا يكون من أمر هؤلاء البتامي والمساكين بقتاتون من المنزل عندما ؟ لقد ألت بهم وأنسوا بي ولم يعد لهم سواي من نصير ... فاذهب وحدك يا أوليفيين وأرجو أن تعجل بالإياب

فمرل مسيو دوكرجان على طلب زوجته إذ كان ينظر بعينها ويحس بإحساسها ،

فرحل إلى العاصمة وحده بعد أن أوصاه بأن تكلم إليه ورسن رسائلها تسن ما يرسله أشتت سائق بول ، حتى تصل في أمان

واستغرقت رحلة مسيو أوليفيين إلى باريس ستة عشر يوما ، إذ كانت الرحلات من أشتت الأمور في تلك الأيام

وقابل مسيو أوليفيين من قبل من تبلاء البلاط الملكي فأكرموه وفادته واحتفوا به : إلا أنهم أظهروا أشد العجب من أنه : بات بزوجته معه ، وقال أحدهم : لا ريب أنها امرأة فيحة غليظة لانشره فقال واحد من يعرفون أمرها إن الحقيقة عكس ذلك . إنها ذات جمال حري في الناس بحري المثل . فقالوا :

لا ريب إذن أنه قد منعب من أعنى عاقبة أن ترى بين تبلاء البلاط من يفتنها عنه ...

وترأت هذه الشائعات إلى صاحب فدر كرجان فاستدعته وأعلن على رؤوس القوم أن سيدة كرجان حته هي آخر من تلجج الروح إلى مثل هذه الاحتياطات ... فقال السيد : وقد جعلوا من الأمر مزحة :

قد كان لله في حواء ثقة أعظم من تلك حين أودعها حنات التعميم ! فقال أوليفيين :

أوليفيين وهو يصد نفسه عن الفتك به
يخبر جريد

وبلغ الكونت القصر فأحسست
فراسيدا لقاء واحتفت به كأنه أخ لها ،
تحقق بذلك وصية زوجها في رسالته إليها ،
وراحت تهني جميع الوسائل التي تدخل بها
السرور إلى نفس ضيفها ، فهما إما على سهوة
الجياذ في الغابة لا يعودان إلا في الشفق ،
وإما ساهران للحديث والسرور ، وليس في
نفس سيدة كرجان إلا أن تقوم بحق الضيف
وتحقق وصية زوجها الغائب

غير أن داجويون يده تقوده يستمل
هذه الثقة في تحقيق مآربه ، فبدأ يلقي على
حملها ويحدثها بأنها تحمل من رأت عيناها ،
فلم تجبه بغير الضحك ، وجمعه أنها تصدده
بقسوة فراح بكاشفها بالحب ويتوسل إليها
أن ترق لحاله ونأسو جراحه ، فلم ترد أيضا
على الضحك ، ثم إنه طلب منها التبريط
الذي تم به شعرها فأعطته إياه ، وطلب
الدبوس الذهبي الذي كرين به صدرها فلم
تبخل به عليه ، ثم ألح في طلب الخاتم الذي
في إصبعها فما وسعها أن ترد طلبه ...

إذ كل ذلك ظن داجويون أنه قد نال
مراذه ، فسألها أن تحدد له موعدا في الليل ،
ونكبا وقضت - ففكرت الخامسة مرة أخرى
وباء بالرفض ، فلما كانت الثالثة قالت له :

« إن فرنسيزا لا تحب أحدا سواي »
فقالوا : وكذلك حواء لم تغرها الشجرة
المحرومة حتى بصرت بتفاحة أخير والشر
تستمر الغضب في صدر الرجل وهم
بأن يستمر سيفه لولا أن خاطبه أحد النبلاء
بقوله :

« لا أحسبك ثمر لنفسك حكمة
تفوق حكمة الخالق يا مسيو أوليفيين ... »
وإذا كان قد عارض حواء للامتحان
لجدير به أن يصنع مثل هذا بزوجك ...
وهذا صاحب « داجويون » الذي فوق
رجل جميعا في فن الإغواء ، فأدخلاه إلى
معهزته كي تراه زوجته رؤية العين ، فإن
منعت أمامه وروت إغراء وعرفنا أنها أشرف

وكان صاحب قصر كرجان يفضل أن
يحكم السيف بينه وبين هؤلاء النبلاء ، إذ
عرف أن أمرين لا يعرضهما الماقل للامتحان :
القناطر الجديدة وفسيطة النساء ... واسكنه
رأى أنه لو رفض الخضوع للمجربة أثبت
بذلك أنه يخاف مغبتها لضعف ثقته بزوجته ،
فاصر إلى أن يوافق على إرسال
« داجويون » إلى القصر ومعه رسالة يوصي
فيها زوجته الإكبر مشواه ...

فرحل الليل وأعدا أوليفيين بالأيديعه
في شكوكه أكثر من شهر واحد ، وودعه

رسول الكونت إلى البلاط بالسندوق
والرسالة. ثم كاد مسيو أوليفييه يرى حتى
زوجته حتى جمدت حركته وامتنع وجهه
وبدا كانه يختصر ... ثم جاش في صدره
من الخند والرغبة في الانتقام ما غلب على
ما بنفسه من الحزن واليأس ، فبدأ بجواد
من أسرع جياد فرنسا وأطلق به إلى
القصر من فوراً

ودامت الرحلة ستة أيام ، يتوقف الرجل
فيها قليلاً أو شهراً بلا ليطمع بجواد حتى
لا يتفق . فمما كان اليوم السابع أبرفت
السم ، فجأة وأوعدت ، وهيت عسيرة هو حذاء
تحتاج إليها وتقتلع الأسنجد الفلانة ، وأثن
مسيو أوليفييه قد بلغ كنيسة ينان ونظر
إلى برجها الشامخ فأدأ به قد حطامته الماصفة
فقال في نفسه :

قد طاردت بك برينان ... وقد هددت
إلا تدير بأن زوجتي قد خلقتي

وغير جواده بشدة فأنطلق في الليل
الحالك يد في الماصفة ، ووقع عسيرة آخر
الأمر على مداخل قصر كوجان وقد تراءت
فوق رؤوس الدوح الشاحنة ، فترجل عن
الجواد الذي غطل الجهد الشاق ثلاثاً من قوائمه
وأظلمه بالليل

— مبهات أن يغفر الله فعلتي ... إذا
قتلت هذا الجواد الشرير في سبيل امرأة

لا أستطيع أن ألقاك في حجرة
المائة لوجود الحسد ، ولا في حجرة
الاستقبال لوقوعهم على مرأى من الناس ،
ولا في مخدعي لوجود سيفتي ، ولا في
الحديقة مخافة البرد ، ولكن إذا تركتني
أحسك في البيت الخشبي الصغير حيث
المزمار وخيوط الكتان فسأوافيك هناك
عندما تحب الأنواء »

فقبل داجوون وقد استند به الفرج
بصدرة فلم يقو على الانتظار ، بل جمع
الفسرج والدبوس والخاتم وضماها صندوقاً
مع رسالة لمن قرب عودته — وسامها
في رسول يحملها إلى باريس لقاء أجرة طيب
ثم إنه ارتدى آخر ثيابه وتضمخ بالعطر
الركي وحسن نفسه في البيت الخشبي
رائحة المصنوعات الأصوات بالتعسر سمع
وقع السديم تقرب ، وفتحت عليه نافذة
صغيرة رأى فيها وجه فرسيرا فكاد يخرج
من حده هرجاً

، مما كانت حرمة الغائب تنهك على
هذا الوجه في قصر كوجان ، كان رب
الفسر في البلاط الملكي تقاتله السامة
ولا يسمعه من العودة إلا انتظار فترة الشهر
المتن عليه

وما لم يبق بها سوى خمسة أيام ، قبل

خائفة !

وأوغل في الغابة على قدميه حتى انتهى
إلى باب القصر العريض فطرقه طرقاً شديداً
وكانت فرانسيرا في مخدعها فعرفت
مبارقات زوجها وهتفت في فزع :

— يا إلهي ! هذا زوجي كرجان قد جاء !
وهرعت لتستوثق مما سمعت ، ولم تكذب
بسر زوجها حتى ألقت بنفسها بين ذراعيه
ولكن مسيو دو كرجان أسرع بالقبض
على يديها وجرها إلى حجرة الخديفة حيث
وقب إزاءها لاهنا يقول وقد جحظت عيناه
— أين السكوت داجويون ؟ أين هو

أيتها المرأة الشريرة !

فامتقع وجه فرانسيرا وقالت وهي ترتعد :
— أستحلفك بالله يا أوليفيين
ألا تظن بي سوءاً ... لقد فعلت كل
ما بطوق كي أمتع ما حدث
فقال دو كرجان وهو لا يكاد يقوى على
النطق :

— وأخفقت في منعه ؟

— لا تلم إلا صديقك هذا ... فلم
يكذب طأ أرض المنزل حتى وقع في هوائى
وأخذ بلاحقى فلم يكف عن لحظة واحدة
وقد طأوسه ولم يخل عليه من
وقب بلحظة واحدة !

فأجأت فرانسيرا :

قد منحته أول الأمر بقدر ... منحته

شريطاً ، ديوماً ذهبياً ... فصاح زوجها !
— وخائفاً !

— أجل ، قد أخذ الحسام أيضاً ...
ولكن شيئاً من ذلك لم يتردد عليه ،
فأضطرت إلى حبسه بالبيت الخشبي وأعدت
أن أوابيه هناك في المساء ...

وهل بررت بوعدك يا سيدتى ؟
ما وسمنى أن أحنث يا أوليفيين ...
فإذا كان المساء قصدت إلى هناك ففتحت
النافذة وقلت للسكوت :
— ماذا قلت له ؟

— قلت له إنه ينبغي أن يضل في
حبسه حتى تعود أنت
فيبدأ أن صاحب قصر كرجان لم يسمع
قوله وهتف :

— ماذا قلت يا فرانسيرا ؟ هل حسنت
السكوت داجويون ؟

— أجل ، وأعدت أن أحل مسيو
عندما ينتهي من سح كل ما يحويه الخزان
من حيوان السكتان ...

وإن باستطاعتك أن تصنى إلى صوت
المغزل ...

فأدنى مسيو دو كرجان وسبحه ، أهد
قوله

ثم روت له زوجته كيف أعلن

— قد خسرت الرهان يا مسيو
دوكرجان !
فأجابه أوليفيين :

— إذن فلتعتمد إلى صحبك من سلا ،
البلاط ، ولتخبرهم بالحقيقة التي كاد يريفها
تعتلك إرسال الشريط والدبوس والخاتم
فوعده داجويون بأن يقص الحقيقة
الكاملة ، وبأن يرد ما أخذ من حلى السيدة ،
ولكنها قالت له إنها قد أعمت بها عليه
اعترافاً بمهارته في أعمال الغزل والسيج .
ومن ذلك الحين داعت في المنطقة
صناعة ذلك النوع من « المفارش » .
يزل إلى اليوم على الأفواه مثلاً جارياً بأن
أول تلك المفارش قد صنعت في قصر
كرجان النبيلة !

محمد عيسى

الكونت تمردده أول الأمر ورفض أن يتعلم
صناعة الغزل ، فلم يجبره على الخضوع إلا
منعها إياه عن الطعام ! ثم أخذ يتعلم مبادئ
الصناعة حتى نجح في صنع « فرش » جميل
لم ترقط مثله جودة وإتقاناً !

وأي مسيو دوكرجان أن يصدق كلامها
حتى فادته إلى نافذة البيت الخشبي ، فرأى
الكونت بعينه ما كفا على العمل وقد جعل
قمعته العالية المزينة بالريش على رأسه في
حين ندى السيف الرصع من جانبه !
فانفتأ غضب مسيو أوليفيين فجأة
وانطلقت منه ضحكة سرور ملحجلة ، فهب
الكونت مبغوتا ليرى نفسه أمام غريمه
وجها لوجه . غير أنه كان رجلاً محنكاً رابط
الجأش فمرف كيف يعالج الموقف ، إذ أجاب
عن ضحكة مسيو أوليفيين بابتسامة معتصبة
وقال :

اقرأ الرواية في أول كل شهر وفي منتصفه ،

والرسالة في صباح كل أحد من كل أسبوع

بذل اشتراك الرواية في السنة ١٢٠ قرشا وبذل اشتراك

الرسالة ١٠٠ قرش وبذل اشتراكها معا ١٨٠ قرشا

الشيطان

لمحمد بن عباس

بقلم الأستاذ محمد محمد مطايع

فأعربت عن موافقتها بإشارة من عينيها ،
وإيماءة من رأسها . . . نحت بهما ولدها
ليعجل بنقل القمح . . . وليتركها وحيدة
تموت ! فلم يمالك الطبيب نفسه وضرب
الأرض بقدمه غاضبا ، ثم صرخ في وجهه قائلا :
أنت وحش بلا قلب . . . وإذا
لاستمكن من عمل أى شئ . . . فاعلم ! وإذا
كنت حصر حقيقة على نقل القمح اليوم
فلتذهب لإحضار الأم رايت لتعنى بأمك .
وإذا . . . نصبتني فسوف تموت كالكلب حين
يأتى دورك وتسقط مريضا . . . فاعلم ؟

ولت الفلاح يعانى عذاب التردد رهة
مشتت الفؤاد بين خوفه من الطبيب
وكراهيته لإنفاق النقود . . . ومضت رهة
راح فيها بحسب ، ويقدر . . . وأخيرا سأله
متلعنا . . .

— وكم تنقضى الام رايت على ذلك ؟

فصاح الطبيب قائلا . . .

« وكيف أعرف ؟ هذا يتوقف على
المدة التى تريدها فلتتفقا فيما بينكما . . .
ولكنى أصر على أن تكون هنا فى خلال

كان الفلاح قائما بجانب — سرير
المختصرة — بتبادل الحديث مع الطبيب ، بينما
عددت المعجوز فى استسلام ؛ متيقظة الوعى
نصت لما يدور بينهما ! . . . إنها تموت !

قبلت المعجوز هذه الحقيقة فى شئ
من الرضاء ، فقد أن أعت عامها الثانى بعد
التسميم تعرف أن نهايتها قد أرفت

ومن خلال نافذة الحجرة تدفقت أشعة
شمس يولبو القائظة ، فغمرت أرض الحجرة
السوداء الوعرة وأشاعت فيها قيظ الصيف
وأفاحت الريح الساخنة رائحة الأرض ،
والقمح والدريس ، وأوراق الشجر الجافة
ورفع الطبيب صوته قائلا . . .

إنورىه ! إن تتمكن من أن تترك
أمك بمفردها ، فربما تموت من لحظة إلى
أخرى . . .

فأجاب إنورىه مدعورا :

— ولكن القمح فى الحقل ، ولا بد من نقله
إلى الداخل ، وربما يدوم رقادها مدة طويلة
والحو الآن ملائم . فما قولك يا أماء ؟
وملك المعجوز جشع الزماندين ،

ساعة واحدة . عجم ؟ »

يقول ..

« عجم ... سلامتك ! »

وأخيرا انتهى الأمر . فأجابته ..

حسن ! لا تعصب . وسوف أذهب الآن »

ولما خلا بنوريه بنفسه تلقت إلى أمه

ثم قال لها في شيء من الاستسلام :

« إني ذاهب لإحضار الأم رايت

فاطبيب فدأمر على أن تأتي . فلا تقلقي على

نفسك وسوف أعود حالا »

ثم عادوا للمجال في عملة ظاهرة .

أما الأم رايت فهي تسالها بمروقة

تتم . سامر وممن يمس من أهل القرية وجميع

ما يحاورها من القرية . فهي التي تدرجهم في

كلماتهم . وهي سامرة كمنافحة آخر العام ،

بمروقة الأخلاق . فقروا ، قد انحنى ظهرها

حتى أصبح جرابين . وكان ذلك من أثر

بزمتها التي لا تسكف عن العمل في الأكفان .

ويمكن أن يقول إن هناك جاذبية بينها وبين

الموت . ومجديتها يدور دائما حول من

شاهدت من سبهم . . . وجميع ما حضرته من

أوان الموت . فبعض كل ذلك في فاصيل

دقيقة لا تغيب أبدا . كما أنه يتحدث عن

خلقات بديفته .

وحين ذلت بنوريه إلى داخل منزلها

ألفاها عبد عمال الزهرة لبنات القرية ؛

محسبها . . . فأدارت له رأسها وهي

فأخرجت العجوز يديها من الماء .

فجرت على سابعها وتساقط قطرات شفافة

زرقاء . . . سألتها وهي تتظاهر بالمعطف . . .

وعلى حالها سيئة ؟

يقول الطبيب إنها ابن تعشى إلى

بعد الظهيرة . . .

إن فهي في حالة سيئة جدا

و . سامر بنوريه على تسرعته . . . فلم يكن

يبدو أن يتسلف عما أعده في عقله مرة واحدة .

ولما نجر عن إصلاح الأمر اندفع قائلا . . .

وكم تريدني في مقابل رعايتك ها

إلى أن تموت ؟ أنت تعرفين طبعاً أننا نسنا

أغنياء . . . فنحن لا نحتمل آخر خادم .

وقد كانت أمي هي التي تقوم بالخدمة

وأجابه في لهجة رجل الأعمال . . .

لدي سمران : فرنكان لليوم .

وفرنكان ليلة . . . ذلك طبعاً للأغنياء . . .

وفرنكان لليوم وفرنكان للييلة للآخرين . . .

وسأني . . . أنت ثلاثة فرنكات لكل

يوم بيلته . . .

وفكر بنوريه لحظة . . . فهو يعرف

انتهت « ... بيد أن أمه الخائف كان ياديا
في نبرات صوته !

ولكن المعجوز لم تمت ! بل كانت ممددة
على ظهرها فوق سريرها المتآكل ، وبدها تمسك
بطرف اللحاف الأحمر ، مبروكة ضيقة من
أثر الروماتزم والعمل الشاق وجميع المهن
التي قامت بها زهاء المائة عام

وأقبلت الأم رايت على السرير ثم
تحصت المرأة في عناية نائمة . قامت
بعضها .. وتحسست صدرها .. ثم أنصت
إلى تنفسها .. وسألها عدة أسئلة لتسمع
كلامها .. وبعد أن أمضت معها مدة طويلة
غادرت الغرفة وخلفها ينوربه

لقد قرأها على أن المرأة المعجوزة
تعبس حتى الليل

وسألها ينوربه .. « هبه ! »

فأجابت المرأة

تنتهي حياتها في خلال يومين
أو ثلاثة .. وسأقبل المهمة في مقابل سنة
فرنكات دفعة واحدة .. فصاح قزعا :

سنة فرنكات ؟ سنة فرنكات ؟
هل هي صفقة مالية ؟ واندقلت لك من قبل
إن أمي لن تعبس أكثر من خمس أو ست
ساعات

لبيت المساومة فترة طويلة ! فكلامها عبيد ..
وأخيرا تظاهرت الأم رايت بالعودة إلى سريرها

أن أمه في حالة سيئة ... كما يعرف متانة
بياتها ... فرمما تظل أسبوعا وعما عما قاله
الطبيب ... وأخيرا انتهى إلى قرار ...
فأجاب ...

— لا ... لا ... أفضل أن نطلي
عنا لإشرافك عليها حتى النهاية ... هي
مقامرة لكل منا ... فالطبيب يقول إنها
ستموت حالا ، فإذا ما وقع الأمر يكون ذلك
في صالحك ... أنا ! أنا إذا تأخرت
حتى الغد ... فإني أربح بينما أنت تخسرين ...
فرمته المرأة في شيء من الدهشة !

فلم يحدث لها أن قامت بمثل هذا العمل في
شكل اتفاق محدد ... واستهوتها فكرة
المقامرة ... بيد أنها خشيت أن يكون هناك
فخ لها ... فقالت ...

— لا أستطيع الموافقة على شيء ما
حتى أراها ...

— إذن فيها معنى ...
ومن ثم جففت بديها وتمنته على
الفور ...

وفي الطريق ... أطبق الصمت عليهما
فربما بكلمة ... هي تسير في خطوات
سريعة واسعة ... بينما كان الآخر يحجل
في قفزات متلاحقة كما لو كان يتخطى
قنوات تعترض كل خطوة في طريقه . ولما
اقتربا من المنزل همس لينوربه قائلا : « لعلها

كان الشمس في مسوحه الأحمر يسرع
الخطى وخلفه القسيس يسير مطرقا .. يتلو
صاواته .. وخلفهم الأم رايت منحنية
الظهر إلى حد كبير كي تساعد نفسها على
السير .. ويدها مضمومتان على صدرها كما لو
كانت في الكنيسة

ولحيم إنيوريه وعم يرون أمامه من
بعيد .. فسأل
لن هذا القسيس ؟

فأجابه العامل الذي يساعده وقد
كان أكثر إدراكا من سيده بأنه طمعا
في طريقه إلى أمه ليباركها .. فلم يد على
الفلاح أى دهشة .. ثم واصل عمله

ورجع القسيس بعد أن أدلت الأم
بانتام بأعترافها وترك المرأتين وحدهما في
الكوخ المطبق الخناق ، وعادت الأم
رايت تنظر إلى المعجوز وهي تموت !
وأخذت تسأل نفسها .. إلى متى مظل
طويلا هكذا !

وأخذ الظلام يحيم رويدا .. رويدا ..
وهبت نسمة نقيّة باردة جمعت الصورة
الزمنية الرخيصة تصطك بالهائط والستار
التي كانت يوما ما بيضاء ، وأمست في لون
الفيران .. صارت كأنها تريد أن تطير
بعيدا لكي تهرب إلى الأبد كروح المرأة
المعجوز !

ولما كان الوقت يمر والتمح لن ينقل نفسه
إلى الداخل ، فقد وافق أخيرا .. وانطلق إلى
قبحه الذي كان ملقى تحت أشعة شمس
الحصاد الساطعة .. وذهبت المرأة إلى
النزل ومعها حاجاتها .. فقد تعودت أثناء
رعايتها لمن يموت أو من ماتوا أن تعمل في
حياكة أشياء لها أو لهؤلاء اللاتي تقوم
على رعايتهن .. ومن ثم تنقضى على ذلك
أجرا آخر

ونجاة سألت المعجوز مستفسرة :

— هل أدليت للقسيس باعترافك الأخير
بأم بانتام ؟ فهزت المعجوز رأسها أن لا .
والأم رايت ذات روح طيبة ! لذلك
ففزت على قدميها جرة وهي تصيح فيها :
— يا للسوء ! أحقيقة هذا ؟ سأذهب
إذن فأحضر قسيسا

وأسرت إلى منزل القسيس مهرولة
نساء جمل الأطفال في ميدان القرية
يوقنون أن حدثا ما قد وقع .. وارتدى
القسيس مسوحه ثم أقبل على الفور يتقدمه
الشمس وهو يقرع جرسا صغيرا .. فرفع
الفلاحون في الخمل قبعاتهم ووقفوا
سامتين حتى اختفوا خلف المزرعة .
وتوقفت النساء عن جمع القش ثم رسمن
علامة الصليب .. وتفرقت الدجاجات مذعورة
ثم أسرعت إلى مخابئها بين الحشائش بينما

أربعة أيام وربما بقيت أسبوعاً .. ومضى الخوف
قلبها الخيل وأحست بنفس عيم على
هذا الشخص الذي خدعها وعلى هذه العجوز
التي يمكنها أن تموت ..

ومع ذلك عادت إلى عملها منتظرة
وعيناها متعلقتان بوجه - الأم بانتقام -
المغضن .. وأقبل إينوريه لتناول عداته ..
وقد بدأ سرورا مشرح الصدر .. وبعد
الغداء غادر المنزل مرة أخرى .. ومن
المؤكد أنه كان وهو مشغول بصفحة
في الحقل في حالة سرور ومسرحة
بين يد اليأس يرحف إلى فؤاد الأم
رايت رويدا .. رويدا .. بكل دقة
تمر عليها تبدو وكأنها قد سرقت منها !
فالوقت قد وشتت برغبة مائة رغبة
وحشية في أن تسك بهذه العجوز التافهة
العنيدة .. بهذه الخبيرة المالككة ، من رقتها
ثم بضغطة واحدة عليها تقف هذه الأنفاس
السريمة الضعيفة إلى الأبد .. ولكنكم
تذكرون أن هذه مخاطرة ! ونجاة خطر لها
شيء ما .. فسألها

- ألم ترى الشيطان بعد

مهممت .. أن لا ..

وحينئذ أخذت المعرصة تتكلم بفر

حكايات لتفرغ عقل العجوز التهالكة
أثناء موتها ..

وكانت العجوز ترقد بلا حراك ..
عينها مفتوحتان مستسلتان في انتظار
الموت الذي يبدو وكأنه قريب جدا ..
ولكنه يتأخر ! وأنفاسها تخرج متلاحقة
من حنجرتها التآكلة فتحدث ضجيجا
كالصفير سوف يصمت عما قريب .. وحينئذ
سينقص من العالم امرأة لن يفقدها أحد
ولما أقبل الليل عاد إينوريه .. وحين
اقرب من السرير رأى أمه مازالت على
قيد الحياة ؟ فسألها كم عادته حين لا تكون
في صحة طيبة ..

- أمه .. لماذا تشمرين ؟

ثم صرف الأم رايت على أن تعود
في الساعة الخامسة من مساء الغد .. وعادت
فعلا في الفجر .. وكان إينوريه يتناول
حساء الذي أعده بنفسه قبل أن يخرج إلى
عمله وسألته مستفسرة :

- هل مات أمك ؟

فأجابها وهي عليه غمة فقد أن لا
.. ويبدو أنها تحسنت شيئا ما .. ثم
غادر المنزل وترك الأم رايت تشرب
وقد بدأ القلق يظهر عليها .. فوجدت أن
حالة العجوز لم تتغير .. تنفس بصعوبة ..
ممددة بالأحراك .. عيناها مفتوحتان .. ويدها
مطبقتان على طرف اللحاف ! وهنا أيقنت
المرأة من أنها قد نلت هكذا يومين أو

قالت .. قبل أن تموت العجوز بعدة دقائق يظهر الشيطان لمن يموتون وفي يده مكنسة وعلى رأسه وابور المطبخ .. يطلق صرخات عالية ! وحين يظهر هكذا يكون قد انتهى كل شيء ولا يبقى لمن يموت سوى بضعة دقائق . ثم أخذت تعدد جميع من ظهر لهم الشيطان في حضرتها هذا العام .. جوزفين لوازيل .. إيلي راتيه .. سوفي بارفيه .. وسيرافين جوزيه .. فارتجفت الأم بانتام بشدة ثم أخذت تتقلب في سريرها .. تحرك يدها من ناحية إلى أخرى .. وتحاول أن تدير رأسها لكي تحقق في آخر الغرفة !

ونجاة توارت الأم رايت خلف السرير ثم أخرجت من صوان الملابس قطعة قماش لفحتها حول جسدها وعلى رأسها وضمت الوابور ثم أمسكت بكنسة في يدها اليمنى ، وبيدها اليسرى أمسكت بدلو أخذت تحركه في الهواء لكي يحدث ضوضاء .. ثم أخذت تطلق طنيناً مفرعاً وهي تضرب بقدمها الأرض .. ثم اعتلت الكرسي وبدأت تروم وتطلق صرخات حادة فرجف الدلو الذي كانت تحفي فيه وجهها .. ثم أخذت تهدد الفلاحة العجوز بالكنسة عما كان يعمل الشيطان في تشلية

شاهدتها مرة ما ...

وبقوة فوق طاقة الجهد الإنساني حاولت الأم بانتام وقد تملكها جزع فظيع أن تنهض وتفر .. فلم يرتفع سوى كتفها وصدرها قليلاً ثم سقطت في مكانها وهي تطلق شهقة مكتومة ونامت إلى الأبد ! وفي هدوء واطمئنان أعادت الأم رايت كل شيء إلى مكانه .. المكنسة في الركن بجانب الصوان ، وقطعة القماش في داخله .. والوابور على الرف .. ثم ألصقت الكرسي بالحائط .. وألقت بالدلو في المدفأة .. وبعد ذلك قامت إلى العجوز فأطبقت عينيها المفتوحتين ثم وضعت إناء فوق السرير سكبت فيه بعض الماء المقدس وغسست غمس البقس الذي كان معلقاً على الدولاب .. ثم ركعت في حماس وإخلاص وبدأت تفسد للميتة صلواتها ..

وفي المساء لما عاد إينوريه إلى منزله وجدها تضيء .. وفي الحال بدأ يحسب فوجد أنها استولت منه على فرنك ! لأنها قضت ثلاثة أيام وليلة واحدة .. أي خمسة فرنكات .. بينما اتفق هو معها على أن يدفع لها ستة

محمد محمد مطار

النصير

لشاعر الهند «بانو» أنشا طاغور

بقلم الأستاذ عبدالموجود عبدالحافظ

خيال جميل ويحلم بسحر عينيها وقسامة وجهها
ورشاقة قوامها ... كان قد صنع لها في خياله
تمثالا يفوق تمثال فينوس إلهة الجمال . وكان
يتمثل في خياله الخصب منظر قدميها
الصغيرتين الرقيقتين ، يتمثلهما تسيران على
الفراش ، فيتمنى أن يسيرا على قلبه . وكم
تمثل له أن يضع خلاخلها الرنانة ذات
الصوت العذب ، على مذبج قلبه حيث يصوح
أحانها الشجية وأنغامه المذبة ، على أنغامها
الساحرة الجميلة وهي تزل في قدميها

إن (شيكار) كان يؤمن بشخصية
ذلك الطيف الذي يتحرك خلف الستائر .
طيف ذلك المخاوق الذي يطرب لسماع
أشعاره والذي يحس الشاعر أن حركاته
ورنات خلاخله تغني على وقع دقات قلبه ..
كان للأميرة وصيفة تدعى «مانا جاري»
تمر كل يوم على منزل الشاعر في طريقها
إلى الحديقة ، وعند عودتها يكون الطريق
قد أصبح خلوا من الناس بعد أن يسدل
الليل أستاره على المدينة ، تدخل حجرة
الشاعر في جرة وشجاعة ، ثم تجلس على

كان «شيكار» شاعر الملك «ناران»
شاعرا مجيدا ذا عبقرية قوية ، فإذا ألقى
إحدى مقطوعاته الشعرية ، انبثت نفثاته
الساحرة من حنجرته الرنانة القوية ،
متصاعدة إلى شرفات البهو الملكي الفسيح ،
فيسرى سحرها مخترقا الستائر ، فتطرب له
السامعات هناك . كان هناك خلف الستائر
حيث يصل صوته القوي إلى ذلك المكان
الذي لا يقدر على الوصول إليه أو الدنو منه
أحد ، حيث كان يتألق خلف تلك السجف
الحريرية المذهبة شخص الأميرة «أجينا»
ذلك الكوكب اللامع المهيمن على مصير
الشاعر والسيطر على عواطفه . وكم كان
الشاعر يتمنى أن يراها ثم يفارق الحياة .
وكثيرا ما تحل طيفها يتحرك خلف الستائر
ولكن عندما يعود إلى نفسه يرى أنه يسبح
في واد من الخيال . يوم النصر الأكبر عنده
ليس هو إعجاب الملك أو الناس بشعره ، وإنما
هو سماعه صوت الأميرة

كان كثيرا ما يتخيل عالم الأميرة إذا
سمع صوت خشخشة من بعيد فيسبح في

ينظم شعره ويتغنى به ، والملك يقبل على سماعه بكل قلبه ، والناس يهتفون للشاعر بحين مشجعين ، و (مانا جارى) الوصفية توافيه كل ليلة في حجرته عند عودتها من الحديقة ، والشاعر يعيش سعيدا قانعا بالطيف الذى ينحرك خلف السجف في الشرفة ويطرب للنغمات التى ترسلها الخلاخل الذهبية الصغيرة وكأنها أجراس تدق داخل قلبه .

بينما الحياة تسير على هذا التوالى ، إذ ظهر شاعر جديد ، تحدى من لقيه في طريقه من كبار الشعراء وهزمهم وتغلب عليهم . وأخيرا استطاع أن يصل إلى قصر الملك (ناران) . فلما مثل بين يديه أجاد في مدحه . فرحب به الملك وأكرمه أعظم إكرام ؛ لأن مدحه صادف هوى في نفس الملك . ولما عرف (بندارك) أنه تقرب إلى قلب الملك قال : إني أطلب يا مولاي ، معاولة أكبر الشعراء وأعظمهم ؛ فسرعان ما اتجه تفكير الملك إلى شاعره العظيم (شيكار)

ولم يكن (شيكار) قد خاض من قبل عمار المساومات ، فهو لا يعرف كيف تقوم الحرب بين الشعراء ولا كيف يستعراو أوارها . فلما أعلمه الملك برغبة (بندارك) الشاعر الجديد ؛ بات ولم ينمض له جفن في تلك الليلة وقد تمثل له الشاعر الجديد المنافس

طرف البساط وتأخذ في الحديث معه ، ذلك الحديث الذى تبدل جيذا كبيرا في أن يكون على هوى الشاعر ورغبته ، كما كانت تحاول أن تكون لطيفة جميلة ، فتبدل عناية فائقة في اختبار لون قناعها ، وكذلك في طريقة رشق الزهرة في شعرها ، وكانت تتمعد أن يراها الناس عند حولها إلى حجرة الشاعر ، كما أن الشاعر بدوره لم يحاول إخفاء هذه القابلات عن الناس ، بل كان يصرح ، أنها مصدر سرور عظيم له

كان شعر (شيكار) ينال إعجاب الناس جميعا من أقل إنسان في المملكة إلى الملك نفسه ، لأنه كان يمزج الحقائق بالخيال في شعره فكانت تسمع شعره يتردد على شفاه الجميع ويتغنى به الجميع . فإذا حف النسيم بالشجر وأحدث صوتا ضعيفا هينا ، أو إذا ظهر القمر مضياء متلألئا ، سمعت أنغام الشاعر تنبعث من كل مكان في طول البلاد وعرضها من مختلف الناس وعلى جميع الألسنة ، فتسمعونهم يغنون في النوارب في الأنهار وفي الشرفات في القصور والطرقات ، بل يخيل لك أن الأشجار والحيطان وغيرها تغنى كلها بهذا الشعر الجميل الذى يخرج من شفاف القلوب

ومرت الأيام في سعادة وغبطة ، الشاعر

بصوت كأنه الرعد ، وقد انتفخت أرداحه وارتفع رأسه عاليا وتمدد صدره المريض المتلي ، وكانت كمانه تهدير كأنها الأمواج الصاحبة ، فبدأت تؤثر في نفوس الجماهير المستمعة ، وسرعان ما أخذت هذه الجماهير بالمهارة الفائقة والمعاني البديعة المختلفة التي نظمها في اسم الملك (ناران) . ومما زاد في دهشة قدرته على تضمين أليانه كل حرف من حروف اسم الملك بطرق متعددة ، ولم يقتصر الإعجاب على الجماهير بل إنه حاز رضاء الأساتذة المثقفين الذين جاءوا من بلاد بعيدة ، فرفعوا أيديهم بحمين وهتفوا للشاعر معبرين عن إعجابهم . وأتجه الملك نحو شاعره (شيكار) وألقى عليه نظرة تساؤل ، فأجابه (شيكار) بأن رفع إليه عينيه المغممتين بالأم المرير واليأس القاتل . ثم وقف شاحب الوجه زائغ البصر وقد استولى عليه الحجل الشبيه بنجل العذارى . وتهامس الناس ، أين هذا القوام الهزيل من ذلك العملاق الضخم ؟ وبدأ (شيكار) يتكلم وهو مطرق الرأس خافت الصوت ، حتى أن كمانه الأولى لم يسمعها الكثيرون . ثم أخذ يرفع رأسه في بطل ومشقة ، وكان يرفع تبعا لذلك صوته الذي ارتفع حلوا جليا نحو السماء كأنه شمع من النور ، فأبجته إليه العيون . وبدأ يروي قصة حياة الأسرة المالكة

بقوامه الضخم وأفقه الأقنى ورأسه المرتفع في أفنة وحيلاء ، تمثل له في ليلته هدمه وهو يسول ويحول فأقلق راحته وأقضى مضجعه .

ولما أصبح الصباح توجه (شيكار) إلى الميدان ، فرآه مكتظا بالجماهير ، ورأى غريمه يجلس منتصبا في اعتداد وقوة ، تخفق قلبه بشدة . ولكنه تقدم من غريمه وحياء باسماء رفيقة والحناءة خفيفة في احترام ووفاء . فرد (بندارك) هذه التحية بإتناء بسيطة من رأسه في غير أكثرات ثم دار برأسه نحو أنصاره وأقسم لهم باسماء ذات معنى

ورفع (شيكار) بصره نحو الشرفة العالية التي تتدلى عليها الستائر تخفق قلبه وحياء محبوبة في نفسه قائلا : إذا انتصرت اليوم في هذه المعركة فسوف يتجدد اسمك

وظهر الملك مقبلا في ثيابه البيضاء الواسعة ، فأشار أحد القاعين بالأمر ، فدقت الطبول ووقفت الجماهير المحتشدة تدعو للملك بالنصر وطول القاء . حتى إذا وصل إلى عرشه استوى عليه ، وبعد برهة قصيرة ، هب « بندارك » قائما فساد السكون في القاعة الفسيحة وأصبح الناس وكأن على رؤوسهم الطير . ثم أخذ يرسل مديحه للملك

ثم وجه السؤال مرة ثانية بصوته الجمهوري المرتفع قائلاً : هل هناك ماهر أعظم من الكلمات

وعال يصرفها حوله في تعاطف وكرم ؟ فلم يجرؤ أحد على أن ينحده ، فجلس في مكانه في طمأنينة وكأنه أسد أحمر عي فريسته ثم أتى عليها في أكله واحدة وهتف له الحاضرون في إعجاب عظيم ولكن الملك ظل صامتاً ساكناً من الدهشة

وهذا أحسن الشاعر (شيكار) أنه ليس شيئاً مذكوراً بجانب هذا العلم الفياض والحجة القوية والمقدرة الفائقة . ثم عاد الملك نحاسه وشبهه الحاضرون

ولما كان اليوم التالي عاد الشاعران إلى الميدان وازدحمت القاعة بالناس وأخذ الملك مكانه في صدرها ، ثم أوماً إلى شاعره (شيكار) فقام وتوسط القاعة وأخذ يتبع بذلك اليوم الذي سمع الناس فيه أصوات موسيقى الزام مقيلة مع هواء غابة « فريدا » الهادئة ولم استطع أحد رؤية الموسيقى ولا مصدر الموسيقى ودهشت الراغبين اللائ كن في الغابة واستول على اللارين نوع من الخوف لأنها كانت تبدو لهم كأنها تنبعث من كل شيء من الجبال والحقول والوديان ومن الطرق الظليلة ومن الخضر الزاهية

متمشياً معها من أقدم المصور إلى الوقت الحاضر ، وهو في كل ذلك يشيد بعظمتها الخالدة وكرمها الزائد ويطولتها الفذة إلى أن قال :

مولاي ! قد يكون هزمت في سوغ الكلام ، ولكني منتصر على شخصكم الكريم . ثم عاد إلى مكانه وجلس وهو يهز كأنه القصبة في مهب الريح

وتأثر السامعون لهذا القول واعبرورفت عيونهم بالدموع وتصاحبوا معجبين بهذا الوفاء العظيم حتى اهتزت جدران القاعة الحجرية

عند ذلك انتصب (بيدارك) قائماً في عنف وقوة ، منجدها هذا الشعور الذي أظهره الجمهور وألقى السؤال الآتي على مسامع الحاضرين :

— هل هناك ماهر أعظم من الكلمات ؟ فساد السكون أنحاء القاعة ، ولما لم يجد أحداً قد تحرك حتى الشاعر (شيكار) ابتسم ابتسامة خبيثة ، ثم أخذ يثبت في براعة وفصاحة (أن في البدء كانت الكلمة وأن الكلمة كانت عند الله ...) وأخذ يؤيد أقواله بآيات كثيرة من الكتب المقدسة ويشيد صرحاً عالياً بقيمة الكلمة . بل إنه جعلها أعلى وأعظم من كل مافي السماء وكل ما على وجه الأرض

الحب واسم تلك الحبيبة اللذين جعلهما موضع قصيدته . ثم أدار بصره نحو أصدقائه وأنصاره وأبسم لهم ، وقبل أن يترك مكانه طلب من غريمه في تحيد ، أن يذكر هذين الاثنين - وساد المكان سكوت عميق ، وانجحه الناس بأنظارهم نحو (شيكار) ولما لم يجدوه قد تحرك ، هب أنصار (بندارك)

يعدونه أعظم المدح ، فتبعهم الباقون الذين خدعهم مارأوا من هزيمة (شيكار) ونصر (بندارك) فإذا كان الأول صاحب حق فإن الثاني قوى التفكير ، سريع البديهة ، وقد خيل للشعب أن (شيكار) بالنسبة (لبندارك) ما هو إلا طفل صغير لا يستحق إلا اللعاب ، أين (شيكار) من ذلك المارد الجبار الذي يتغلب على كل عقبة تمرض طرقاته بقوة تفكيره وغزارة علمه ، كما خيل لهم أن أسرار شاعرهم ما هي إلا كلام يرص وفي غاية السهولة فلا يستعصى عميقة التفكير ولا هي جديدة في شيء ، كما لم تكن تحتوي على شيء من العلم أو الفلسفة

ودهش الملك ونظر إلى شاعره نظرات الغيظ والحنق غله يستطیع أن يبذل جهده ليرد على (بندارك) تحديه فقد كان الملك يحب شاعره ويصطفيه ، ولكن (شيكار) لم يفعل شيئاً ولم يتحرك من مكانه ، فاعتناظ الملك وهبط من عرشه والنضب بملأ عينيه

والحشائش النامية . ونسى الناس أنفسهم فماشوا في هذا الجو ، ولم تستطع النسوة إدراك كنهنها ، وامتلات نفوسهن رغبات ولكنهن يحزن عن التعبير عنها فاعرو وقت عيونهن بالدموع اللؤلؤية ، وتمنين لو أن حياتهن انتهت في هذه اللحظة على عتبة الأبدية

وعاب الشاعر عن نفسه ونسى سامعيه كما نسي أنه بنارل خصمه له عنيدا ، فقد كان في هذه اللحظة يعيش وحيدا مع أفكاره التي كانت تتراحم وتتصارب في ذهنه فتحدث حوله حفيفا خفيف ذلك الثوب الذي تحفيه تلك الستائر المسدلة على الشرفة ثم تنى (أغنية الناي) وكان يتمثل في مخيلته صورة طيف وأصوات ضئيلة تهمس من بعيد

ولما انتهى من إنشاده عاد إلى مجلسه ، وقد استولى على المكان سكوت رهيب ، كما استولى على السامعين مرور عميق مصدره ذلك الشعور المبهم الذي تولاهم ، فلم يستطيعوا تحديده أو معرفة كنهه ، وقد استغرقوا في هذا السرور حتى أنهم نسوا أن يقرظوا الشاعر الذي جلب إليهم ولم يلتبه الناس لأنفسهم إلا عندما انتصب ذلك العملاق « بندارك » واقفا وتقدم أمام عرش الملك وطلب من (شيكار) أن يذكر اسم ذلك

لم تصبري معدى ، فلو أنى كنت قطعة من
الذهب لخرجت من أتونك بعد هذه الحياة
الطويلة ، أصفى معدنا وأكثر لمعانا .
ولكنى كنت جيفة تنه طالما وطشها الأقدم
فلمّا ألقيت فيك لم يبق فيها إلا حقنة من
رماد أذرته الرياح عند أول هبوبها

وعندما انتهى من حرق أوراقه ، فتح
لواقد عرقته على مصاريعها وأحضر ما عنده
من شموع وأوقدها كلها ، ثم تفر الورود
والأزهار البيضاء على فراشه وبعد أن انتهى
من كل ذلك خلط عصارة بعض النباتات
السامة ببعض العسل ، ونجّح المزيج في
هدوء كأنه يتناول كأسا من الخمر الممتعة . ثم
تعدّد على فراشه في سكون وراحة ، ولكنه
ما كاد يضع رأسه على مخدته حتى سمع
صوتا ظنه من أثر السم الذى نجّجه ، سمع
رنين خلاخل ذهبية في خارج منزله ، تحت
نافذته . وهب النسيم يحمل إلى أنفه رائحة
ركية طالما استنشقا في أيامه الماضية ، فتمتم
في وهن وضعف هل يعقل أن تكون هي ؟
« ربما تكون قد أخذتها الشفقة بحادسها فأتت
إليه في النهاية لتراه وتشتبع منها بصره قبل
أن يغمض إلى الأبد » وما كاد يتم كلامه
حتى سمع صونا رقيقا على باب عرقته يقول :
ها أنا ذى جئت لأقف إلى حوارك

يا شاعري الحبيب

وكل جارحة فيه ، وأخذ قلاذنه اللؤلؤية
وزين بها جيد (بندارك) وعند ذلك دوى
السكان بالتصفيق الذى لا حده

في هذه اللحظة الرهيبة من حياة
الشاعر (شيكار) طرق سمعه صوت ضئيل
لخلخال ذهبي رنان وحفيف لرداء حريري
بتحرك ، فطفرت من عينه دموع ساخنة ،
لأنه لن يسمع هذا الصوت مرة أخرى فقد
حرم الحضور إلى هذا المكان إلى الأبد

وافق الشاعر من غيبوبته فرأى
السكان خاليا ، فتجامل على نفسه ونهض
من مقعده وخرج بجر قدميه جرا . كانت
هذه الليلة سوداء حلكة الظلام ضل فيها
الشاعر طريقه إلى بيته . فلما وصله بعد طول
عناء ، أخذ يجمع مخطوطاته وأشعاره الأولى
التي كاد يسي ما خطه فيها ، وأخذ يعبث
بصفحاتها ويقرأ ما كتب فيها ، فحيل له
أنها ألعاب صبيانية لا قيمة لها وأنها
نافهة عديمة المعنى لا تستحق الرقاع التي
كتمت عليها

وكما قرع من قراءة صحيفة مرقها
وألقى بها في إناء أسامة يحوى نارا ملتهبة
ويقول : إليك أيتها النار يا فتاة العزيزة ،
إليك يا من كنت تشتعلين في فؤادى طيلة
هذه الأعوام الحافلة . إليك أيتها النار يا من

اليهودي

للمصطفى الرضى أيقار خفيف

وجهه الأسمر ، أحد تلك الوجوه الروسية
العظيمة ، ونظراته الصريحة الذكية ،
وانسنامه الرقيقة ، وما في صوته من ضحولة
وعذوبة ، كان كل شيء حوله في الجملة يمتعنا
ويستهوينا
وبدا نيقولا كلامه قائلا « لا بأس .
فاسمعوا إذن »

حدثت قصتي سنة ١٩١٣ أمام دارج
و كنت أعمل يومئذ في فرقة الأناشي

في هذه المركة ، واسكنهم لم يدركوا هذا
لقصر طرعم ! أما أنا التي فهمتك فقد جئتك
لأضع عني جبينك تاج النصر . وأخذت
طاقة من الأزهار كانت تضعها في صدرها
ووضعتها على جبينه

وتحسها الشاعر ، ثم عمم في صوت
خافت : هذا هو النصر الذي كنت أسمى إليه ،
ثم سقط على فراشه ميتا وقد ارتسمت على
سفته بسمة النصر والرضا

عبد الوهيد عبد الحافظ

« قص علينا قصة أيها الكبيرل »
وابسم الكبيرل نيقولا إليتش ونفخ
من شبه أسطوانة حارونية من الدخان انبعث
من شاربيه ، ومسح يده على شعره الأشهب
، نظر إلينا مفكرا ، وكنا جميعا محب نيقولا
إليتش أعظم الحب وبجله أكبر التجلة ، لا
نصف من طيبة القلب ، ورخاوة العقل ،
ولا لسناء من حبه علينا نحن الفتية ؛
ولم نرجل طويلا القامة عريض النكبين
نملي البدن قويه ، وكان يجتذبنا إلى شخصه

وحاهد الشاعر ليفتح عييه فقد كانتا
ناعيتين ، فلما استطاع أن يفتحها بمض الشيء
رأى أمام فراشه سبع امرأة ، ظن أنه طيف المرأة
التي كرس لها حياته وعاش على رنين خلاخلها
وحبيب قوبها ، قد جاءت لترى وجهه في
لحظة من حياته

وقالت له أنا أوجين

وجاوب الشاعر الهوس من فراشه
ولكنه لم يستطع ، فقالت له : إن الملك قد
عملك حقتك ، إنك أنت الذي انتصرت

وتملكى النعاس ، إلى الهواء الطلق فجلست فوق أكمة : وكان صباحا جميلا هادئا وقد غرقت خطوط حصوننا الطويلة في ضباب كثيف : وظلوت حتى نال منى التعب ثم أخذتني سنة وأنا جالس

وأيقظتني سعة حذرة ، وفمحت عيني فرأيت يهودا أمامي ، وكان رجلا في الأربعين يرتدى ملحفة رمادية طويلة الليل ، ويتعل خفين ويضع على رأسه قبعة عالية سوداء . وكان ذلك اليهودي واسمه جريشل كثيرا ما يروح ويبنى حول معسكرنا ، يمرض خدماته كما نمل عند أحد التجار ، ويحضر لنا الخمر والخبز وغيرهما . وكان عزيزا آخر الشعر ضليل الجرم ينقط أثر الحدرى وجهه وكانت نظرف عيناه الصغيرتان في غدا انقطاع ، وكانت حمراوين كذلك ؛ وكان أقوى الأنف طوبله . وكان يسعل دائما وسأله آخر الأمر ماذا تريد ؟

— أود — إني فقط ، لقد جئت فقط ياسيدي لأعرف ما إذا كنت ذانفع لسيادتك في أية ناحية

— ليس لي حاجة إليك ، وتستطيع أن تذهب لسيبتك

— أنا عند أمر سيادتك ، كما تشاء ، حسنت ياسيدي أنه قد يكون هناك ما ... — إنك تضايقتني ، اطلق ، إني

ممتع أقصد الحرب ! والزحف كذلك طيب في ذاته ، ولكنه يصبح بطيئا أعظم البطء ، جيش يحاصر موقعا من المواقع ، هنالك يجلس المرء يومه المبارك كله في ضرب من الخنادق تحت خيمة ، يفترش الطين أو القش ، ويظل يلعب الورق من الصباح حتى الليل ، ورعا خرج المرء من فرط ضيقه لينظر إلى القنابل وإلى الرساسات الحامية كأنها النار ، وهي نطير

وأناج لنا القرميسيون ما يستمتع به من قصص أناسهم ، ولكنهم ما لبثوا أن تراخوا . وكذلك ركبتا السام من هجمتنا على القرية المجاورة بسلب المؤن . في الحق لقد بلغ بنا الضيق كل مبلغ حتى لقد أوشكنا أن نؤلول من الملل !

ولم أكن قد حاورت التاسعة عشرة يومذاك ؛ وكنت شابا جميع البدن ، غضا كالمففة ، لا أفكر في شيء إلا السخرية من القرميسيين ما وسعني السخرية ... وئمة أشياء أخرى — إنكم يخطئون إلى ما أريد ... وهاكم ما حدث ..

لما لم أجد عمل له ذات يوم عمدت إلى القامرة ، وواتاني الحظ فحاة بعد أن خسرت حصارة فادحة فربحت قبيل ابتلاج الصبح (لقد اعتدنا أن نلعب في الليل) قدرا عظيما ، وخرجت وقد بلغ مني الجهد

أقول لك

حق المعرفة

— حقا ، سيدي ، حقا . ولكن

حقا أعرف

سيادتك ينبغي أن تأذن لي أن أهنئك على

ونافت اليهودى بمنه وبسره في محو

فورك

أمنه تحوى منحنيا وهو يقول

— لماذا ؟ وكيف عرفت ذلك ؟

فأنته ، أى قنته ! ، سيادتك .

أوه — إني أعرف .. إني أعرف ذلك

مخلوقة خلوة ، أية مخلوقة !

حقا .. قدر عظيم من المال .. أوه ..

وأعوض اليهودى عينيه ثانية وأطبق شففيه

ما أعظمه ! وبسدا جريش أصابعه وهز رأسه

سيدي ، لك أن تقول الكلمة

وقلت متبرما : وما فائدة الكلام ..

حسب . سوف ترى بنفسك . ومهما يكن

ماذا يجدى المال ويحك هنا ؟

ما أقوله الآن فاسمعه ، ولكنك لا تريد أن

أوه — لا تقل ذلك .. سيدي ..

تصدق . مرني كي أريك ، هذا هو الصواب ،

نعم : نعم .. لا تقل ذلك .. المال شئ عظيم

هذا هو الصواب

الأهمية دائما ذو وقع .. إنك يا سيدي تحصل

ولا أتكم . ولينث أحلق في اليهودى فقال :

على أى شئ بالمال .. أى شئ ! أى شئ !

— حسن ، لقد انفقنا إذن . حسن ،

قل ما تريد سيادتك لحسب . قل لي وأنا

هذا جميل ، وسأريك إذن

أحضر لك ، يا سيدي ، أحضر لك أى

— وعندئذ حك جريش ورث على

شئ ! أى شئ !

كشئ ، ولكنه انكفا متراجعا في الحال

— لا تكذب أيها اليهودى

كالو أنه لم

وهو اليهودى خصلات قودية وهو

— ولكن ماذا ترى يا سيدي في شئ

يقول ، نعم ، نعم ، سيادتك لا تصدقني ،

ونو قليلا مقدما !

نعم ، نعم

إنك تخادعني وسوف ترى

وأعوض اليهودى عينيه وحرك رأسه

من الغربان

ذات اليمين وذات الشمال ثم عاد يقول أوه ،

وتكلم اليهودى في حماسة غير

إني أعرف ، أعرف ماذا يريد صاحب السيادة

عادية قائلا وهو يحرك يديه بمنه وبسره ...

الضابط ، أعرف ، حقا أعرف ذلك

ما هذا الذي تقول ؟ أى كلام هذا ؟ كيف

وتكلف اليهودى التسمية من يعرف

تقول ذلك ! فيم ... إذا حدث ذلك

سيادتك ... فر أجلا خمسمائة ... أربعمائة وخمسين جلدة ! ثم أضاف مسرعا إلى ذلك .. إنك الذي يصدر الأوامر يا سيدي
وهنا رفع أحد رفاق طرف خيمته وناداني باسمي ، فنهضت معجلا وأقيت إلى اليهودى قطعة نقد من الذهب
وتتم قائلا من خلفي ... هذا المساء ... هذا المساء

ويجب أن أسارحكم أيها الأصدقاء ، أتى صرت أترقب المساء في شئ من نفاد الصبر وكان الفرنسيون في ذلك اليوم قد هجموا هجمة للخروج من حصارهم ، وزحفت فرقنا رد هجومهم وأقبل المساء ، وتحلقنا حول النار ، وجعل الجند يطهون طعامهم ، وأخذ رفاق يتحدثون واضطجعت على عباتي واحتسيت الشاي وأصغيت إلى أقاصيص الرفاق ، ثم إنهم اقترحوا لعبة من لعب الورق ولكني لم أشاركهم لعبهم ، لقد كان يساورني القلق ، وتفرق الضباط شيئا فشيئا متجهين إلى خيامهم ؛ وأخذت تنطق النيران ؛ وتفرق الجند كذلك أو ناموا حيث كانوا ؛ وكان كل شئ ساكنا ولم أنهض من مكاني ؛ وكان الجندي تابي يجلس القرفصاء على عقبه إلى جوار النار وقد أخذ يهيم ؛ فأرسلته بعيدا عني وشمل المعسكر كله سكوت تام ؛

وبقيت في مكاني فعل من ينتظر شيئا ؛ وأخذت تطرف السكواكب ، وتقدم الليل ، ولبت طويلا أنظر إلى أنسنة النار وهي تموت ، ثم حدث أخرى النيران ؛ وقلت في نفسي حلقا لقد خدعني اليهودي اللعين ، وكنت على أهبة النهوض من مكاني حين سمعت من يهيم همسا مرتعا إلى جوار أذني قائلا سيدي ، فتلفت فإذا هو جريشل ؛ وكان شاحب الوجه جدا ، ثم تلطم وتطم ببعض كلمات في همس قال :

— دعنا نذهب إلى خيمتك يا سيدي ونهضت فتبعته ، وقد انكمش اليهودي وتداخل بعضه في بعض ، وخطا اليهودي في حذروق العشب القصير المندى ؛ ورأيت عن كثب سحبا ملففا لا يتحرك ؛ وأشار إليها اليهودي مشبث نحو ، فهمس في أذنها ثم أجمد نحوي وأومأ برأسه عدة مرات ؛ ثم دخل ثلاثتنا الخيمة

ومن المضحك أن أقول لكم إنني كنت ساعثذ لا أكاد أجد نفسي

وهمس اليهودي في جهد قائلا : أتري يا سيدي ... أنظر ... إنها خائفة الآن بعض الخوف ... إنها خائفة ، ولكني أخبرتها أن صاحب السيادة الضابط رجل طيب ... رجل عظيم ... لا تخافي ... لا تخافي ... لا تخافي ...

ولم يتحرك الشيخ الملفف ؛ وأحسست
أنى كنت أنا نفسى فى حال من الاضطراب
الحيف ولم أدر ماذا أقول ؛ وكان جريشل
لا يفتأ يتململ ويأتى برغاءات واهتزازات
عريية وقلت له : على أى حال اخرج أنت !
وأطاع جريشل على غير رغبة منه
كم بدا لى

ومضيت إلى الشيخ الملفف ، ورفعت
فى رفق قلبسوها الطويلة ؛ وكان فى (دارج)
حريق غاستطعت على ضوءه الخافت المحار
أن أتبين وجه اليهودية الشاحب ؛
فأخذ جهلها يجمع قلبى ، وأدهلنى عن
نفسى ورفعت النظر إليها محمدا فى صمت .
ولم ترفع اليهودية عينيها . ثم إن حفيقا غثيلا
جعلنى أدور عيى ، فقد كان جريشل يطل
رأسه من تحت حافة الخيمة ؛ فوحت بيدي
نحوه فى عصب غاقتى

وأخيرا قالت لها : ما اسمك ؟

— سار ، — ذلك حسب ما فاهت به ،
وتبينت لحظة فى الظلام لمع البياض فى عينيها
الدعجاوين السطياتين ، كما تبينت ما كاد
يصير من أساليب الصغرة ...

وجذبت محذتين من الجلد وألقت بهما
على الأرض وسألتها أن تجلس على إحداها
فأراحت متحفيا عن كتفيها وجلست ؛
وكانت ترتدى سارية قوامية قصيرة مفتوحة

من الصدر ذات أزرار مستديرة فضية
منقوسة ، وردتين كاملين ؛ وكان شعرها
الأسود الكثيف ملفوفا لفتين حول رأسها
الصغير ؛ وجلست إلى جوارها وأخذت
بيدها الرشيقة بيدي ؛ ثمانت بعض المانعة ،
وبدت كأنها تخاف أن تنظر إلى ، وكان فى
تنفسها لحفة ، ولقد أعجبت بمنظر وجهها
الجانبى الشرقى السمات وضغطت فى رفق
بيدي على أصابعها المرتعشة الباردة فقلت لها :
أتكلمين الروسية ؟

فقلت : نعم بعض الشئ

فقلت : وهل تحبين الروس ؟

فأجابت : نعم إنى أحبهم

فقلت : إذا فأنت تحبيننى كذلك

فقلت : نعم إنى أحبك

وحاولت أن أدور بذراعى حول
خصريها ولكنها نفرت منى مسرعة وهى
تقول :

لا . لا . أرجوك ياسيدى . أرجوك

فقلت لها : أوه ... لا بأس ... أنظرى إلى
على أية صورة

وتركت عينيها الدعجاوين النافذتين
تستقران على وجهى ولكنها ما لبثت أن
استردتهما باسمه نصبع وجهها الحرة

ولثمت بدها فى حرارة ، فصوبت إلى لمحات
من تحت أجفانها وضحكت ضحكة خفيفة

بأسأله : ماذا يضحكك ؟

وأخفت وجهي في رديها وضحكت
كثير من ذى قبل

وظهر جريشل في مدخل الخيمة وهز
نفسه بسمعه محذرا : فأمسكت عن الضحكات
وعلمت له بين سنانى قائلا : أعرب
عني إليك ورسلي استقر !

وأم يرح جريشل الخيمة : فأخذت
قبضة من الذهب من جعبتي وودستها في
يدي ورفعتها إلى الخارج

فقال اليهودية : يا صاحب السيادة ..
وأنا كذلك ..

فأثرت عددا من القطع في حجرها
فألقصت عليها كالقطعة

فقلت لها : حسن ... يجب الآن أن أضرب بقبلة
فقلت : لا ... أرجوك ... أرجوك -
وبعد تمنع في صوت مدعور مستعطف
بأسأله : ماذا تعنين ؟

فأجاب : إلى خالفة
فقلت لها : كلام فرغ
فقلت : كلا أرجوك ..

ونظرت إلى في استحياء وحواف ،
ومالت رأسها قليلا إلى جانبها وشبكت يديها
فكففت عنها

ثم قلت بعد سنت قليل : إذا كنت
ريد ... فهنا ، ورفعت يدها إلى شفتي فلفتمتها

في شفت غير كثير وعادت سارة تضحك
وأحسست يدي بقلبي : وضقت بنفسى ،
ولم أدر ماذا أسنع ، لقد فكرت أخيرا أنى
مائق أتحق ، وأنجحت نحوها ثانية وقلت :
- سارة ، اسمعى إلى أحبك
فأجبت : أعرف ذلك

فقلت : تعرفين ؟ ألسنت غضبة ؟ وهل
تحببيني كذلك ؟

وهزت سارة رأسها
فقلت : لا - أجيبيني كما ينبغي
فقلت : حسن أرى نفسك

والخيت نحوها ، فوضعت سارة يديها
على كتفى ، وراحت تنعم النظر في وجهي
وقطبت وانسمت ... ولم أتمالك نفسي
فقبلت حدها قبلة سريعة ، فالتفتضت قائمة ،
وفي وثبة واحدة كانت لدى مدخل الخيمة
فدعوتها تعالى ، أى فتاة خجولة أنت !
فلم تنطق سارا بكلمة ولم تتحرك
وعدت أدعوها : تعالى هنا إلى

فقلت : لا ياسيدي ، إلى اللقاء مرة أخرى
وأطل جريشل مرة أخرى برأسه المحمد
وهمس في أذنيها كلمتين ، تمت بعدها
وزحفت خارجة كاشعبان ..

وعدت في أثرها خارج الخيمة ، ولكنى
لم أستطع أن أراها أو أرى جريشل ، ولم
أجد إلى النوم سبيلا ليلتى كلها

وفي الصباح الثاني كنا جلوسا في خيمة قائد فرقنا ، وكنت ألعب الورق ولكن في غير إقبال ودخل تابعي الجندى وقال « إن شخصا يسأل عن سيادتك »

فقلت : من هو ؟

فأجبت قائلا : يهودى

أيمكن أن يكون جريشل ؟ وانتظرت حتى انتهى الدور فذهبت إلى خارج الخيمة فوجدته يلاه

وسألنى وهو يتسهم ابتسامة استعطاف قائلا هل أنت راض عنى ياسيدى ؟

آه أنت با... وتلفت محدثا باحثا بعينه قائلا : ليس هنا سيدات فيما أعتقد ، لعلينا من هذا على أى حال ، آه ، باركك الله هكذا أنت تعبت بى ، أليس كذلك ؟

وقال جريشل فى لهجة تأنيب ولكن ابتسامته لم تفارقه : إى ، إى ، أنت رجل بطل جدا ! إن الفتاة صغيرة خجولة ، لقد أخفيتها حقا ، حقا لقد فعلت

فقلت : نوع غريب من الحجل حقا... لماذا إذن أخذت نقودا ؟

فقال اليهودى : لماذا ؟ وماذا فى ذلك ؟ إذا وجد المرء مالا فماذا لا يأخذه ياسيدى ؟

فقلت : دعها يحضر ثانية يا جريشل ، وسوف أكون كما تحب ، كل ما أطلب هو ألا ترى وجهك الذى داخل الخيمة ،

دعنا فى أمن ، أسمع أنت ؟
والتمت عينا جريشل ثم سألنى :
— ماقولك فيها ، أنحبها ؟

قلت : نعم

فقال : إنها جميلة ، مخلوقة حيوة ، حيوة !
ليس كذلك أيتها أنحبك ، وهل لديك شئ
لى الآن ؟

وأجبت : نعم ، هاك ، لكن سمع ،
الصدق خير من الذهب ، أحضرها ثم اذهب
لى جهم وسأرافقها بنفسى حتى يتيها

فأجاب اليهودى مسرعا : لا ياسيدى ،
لا ، هذا مستحيل ياسيدى ، نعم ، نعم هذا
مستحيل ، سأمشى حول الخيمة إذا شئت
ياسيدى . وسوف ، وسوف ، أبعد ياسيدى
إذا شئت ، قليلا ، ستجدين مستعدا أبدا
لخدمتك ، سيدى سأبتعد ، حقا سوف أفعل
فقلت : حسن ، تذكر أن تفعل ذلك ،

أحضرها .. أسمع أنت ؟
فقال : إيه... ولكنها جميلة ، ياسيدى ،
جميلة ، إيه ؟

والخنى جريشل ونظر إلى بعينه الطارفتين
فقلت : إنها حسنة الهيئة

فقال : حسن ، إذن فأعطينى قطعة أخرى
من الذهب

وألقيت إليه بقطعة أخرى ثم وفرقنا
وأخيرا انقضى النهار ، وهبط الليل

وضغطت بها على شفتيها : ثم انصرفت عنهما
وبقيت يارفاق خمسة أيام أو ستة دائم
التفكير في ساحبتي اليهودية : ولم يظهر
جريشل ولم يره أحد في المعسكر ، وكانت
أنام الليالي نوما متقطعا ، وكانت تلازم خيالي
عينان سوداوان قد تندتا ، وأهداب طويلة :
ولم تنس شفاتي خدها وقد كان ناعما ناضرا
كأنه الخوخة الحريرية اللبس .

وأرسلت بعد ذلك في جماعة لسلب
المؤونة من إحدى القرى على مسافة منا ،
وبقيت في الشارع على ظهر جوادى بين
كان الجنود يسمون في البيوت ههنا : وعلى
حين غفلة أسكت يد بإحدى قدمي فنظرت
فإذا سارة : وكانت شاحبة مضطربة تقول :
سيدى ، أعطنا ، خلاصنا ، إن جنودك
يمتدون علينا ويمهينوننا .. ثم عرفتنى فألمبت
وجهها الحمر

وسألتها : أقيمين هنا :

فجابت : نعم

فقلت : أين :

فأشارت سارة إلى بيت صغير قديم .

وهزئت فرمى وأمرعت به إلى ردهة

البيت فوجدت يهودية قبيحة عظيمة تحاول

أن تشرع من ساووشى الطويل سيديافكا

ثلاث دجاجات وبطة ، وكان يرفع أسلابه

فوق رأسه ساووشا : وكانت تصبح الدجاجات

وقدم ، ولقد بقيت مدة طويلة وحدى في
خيمتى وكان الظلام سديدا خارج الخيمة ،
وسمعت في المدينة دقة الساعة وكانت الثانية
.. وبدأت ألحن اليهودى ساخطا ، وإذذاك
دخلت سارة الخيمة وحدها : فوثبت من
مكائى ، وأخذتها بين ذراعى ، ووضعت
سفتى على وجهها ، وكان باردا كالثلج : ولم
أبين ملامحها إلا في جهد ، فأجلستها
وجثوت أمامها ، وتناولت يديها ولست
حصره ، ولم تتكلم ولم تتحرك ، ثم إنهما
لحاة راحت تجهش إجهاشات عالية
وهي تنفض ، وحاولت عبثا أن أهدى
روعها ، أو أغريها ، ومضت تبكي بدمع
هتون ، فبهذهديها ، ومسحت دموعها ،
فلم تقاوم ، ولم تجب عن أسئلتى ، ومضت
تبكي ، تبكي كسقوط الماء وشمرت بالألم
يخرز قلبي ، فهضت وخرجت من الخيمة

وبدا جريشل كأنما ابهرت ألامى من
الأرض فقلت له : « هالك المال الذى وعدتك
به يا جريشل ، حذ سارة من هنا »

واندفع اليهودى لتواء نحوها فكفت
عن البكاء ، وتعلقت به

فقلت : وداعا يا سارة ، رعاك الله ، وداعا ،
سوف يرى كلانا صاحبه مرة ثانية

ولزم جريشل الصمت ، وأحنى رأسه
في حصوع ، وانحنت سارة وأخذت يدي

والبطة ، وكان جنديان آخران يحملان
حصانينهما بالخطب والدقيق ؛ وسمعت داخل
البيت صيحات وأيمانا تقسم بلغة روسيا
الجنوبية ، ناديت جنودى وأمرتهم أن
يدعوا اليهود فلا يأخذوا منهم شيئا فاطاعوا
وتبعنى الشاويش فوق فرسه إلى الشارع
وقلت المارة : الآن هل سرك منى
ما فعلت :

فمنظرت إلى دنى ثمها ابتسامه فقلت :
ماذا كان من ألبائكم طوال هذه المدة ؟
فخففت عينيها ثم قالت : سوف أحضر
إنيك غدا

فسألتهما : فى المساء :

فمالت : لا يا سيدى فى الصباح
فقلت : لا تنسى أن تفعلنى ، لا تخدعنى
فأجابت : كلا ، كلا لن أخدعك
ومنظرت إليها فى شغف ، وقد بدت لى
فى ضوء النهار أروع منها فيما مضى ، وأذكر
أن ما راعنى بوجه خاص ساعتئذ ما كان فى
وجهها من مسحة خفيفة من لون العنبر ،
وما كان فى شعرها الأسود من زرقة براقة ،
ثم انثنت عن ظهر جوادى وشددت على
يدها الصغيرة فى حرارة

واستيقظت من نوى مبكرا فى اليوم
التالى ، وارتديت ملابسى وخرجت من

خيمتى ؛ وكان صباحا رائعا ؛ وكانت الشمس
قد برزت لتوها ، وكان كل عود من
الحشيش يبرق بما عليه من ندى ومن شمع
أحمر ، وصعدت إلى أحد المنابر العالية ،
وحلست على حافة كود مدفع ، وكان أسفل
منى مدفع ضخم بصوب فوهته السوداء نحو
المدينة المكشوفة ونظرت حولى فى فتور ،
فوقع بصرى فجأة على سبوح منجول فى مسجدة
رمادية على مائة خطوة منى ؛ وبليت فيه
جرشيل . ولقد وقف لحظة صويلا لا يتحرك
فى مكان واحد ، ثم أخذ فجأة يعدو إلى
مسافة قصيرة على أحد جانبيه . ثم لماقت
حوله فى سرعة وهفة . وصاح صيحة ثم
أقمت فى حذر ، ثم مد عنقه وأخذ ينظرت
حوله ثانية ويمد سمعه : وكنت أرى حركة
هذه فى وضوح تام : وأدخل يده فى صدره
وأخرج قطعة من الورق وقلم رصاص .
وأخذ يكتب أو يرسم شيئا . وكان جرشيل
يتوقف ثم يتوثب كالأرنب ، ينم النظر فى
كل شئ حوله متيقظ . وبدأ كأنه يحط
رسما للمسكر ؛ واقتدأخى ورقته أكثر من
مرة . وأغمض عينيها نصف إنماعة ، ونشق
من الهواء نشقة ثم عاد إلى عمله . وأخيرا
جلس اليهودى القرفصاء على الحشيش ،
وخضع أحد خفيه وأخفى فيه ورقته
ولم يكدهم اليهودى بالوقوف حتى ظهر

وذهبت لتقابلته

وصاح سيليا فكا : « آه ، سيدي هذا جاسوس ، لقد جئتكم بحاسوس » ، وكان العرق ينصب من جهة الشاويش ؛ وراح سيليا فكا يرحل اليهودي قائلا : « كف عن التملص أيها اليهودي الشيطان ، أسمع قولي ؟ أيها الشقي ، كف وإلا حنقتك » . وكان جريشل التعس بضرب برفقة صدر سيليا فكا في صنف ، وكان يركل الحوز برجليه في صنف كذلك ، وكانت تطرف عيناه في تشنج

وسألت سيليا فكا ماذا حدث فقال : « لا يزال يحمل جريشل بين ذراعيه » ، « هذا تفضلت خلعت الخلف من قدمه المني فاني لا أستطيع أن أمسكها »

وخامت خفه فأخرجت منه قطعة من الورق مطوية في عناية ، وبسطها فوجدت فيها رسما دقيقا لمعسكرنا ؛ وكان على هامش بعض السكبات في خط دقيق باللغة العبرية وأزل سيليا فكا اليهودي وأوقفه على قدميه ، ونزع اليهودي عينيه ، فما أن رأى حتى خر على ركبتيه أمامي ؛ وأرسله الورقة دون أن أتكلم وسألته ما هذا ؟

فأجاب لا شيء ، سيدي ، لا شيء فاني كنت فقط . . .

قلت له : أنت جاسوس ؟

فجأة من خلف كتيب على عشر خطوات وراه ، وجه ذو لحية ، وهو وجه الشاويش سيليا فكا ، وانبعث جسمه الطويل القبيح شيئا فشيئا من الأرض ؛ ووقف اليهودي وظهره إليه ، فأصرخ سيليا فكا صوبه ووضع كفه الثقيلة على عاتقه ! وبدأ جريشل كأنما ينكمش بعضه في بعض ؛ واهتز كورقة الشجرة وصرخ صرخة ضعيفة مثل صرخة الأرنب وخاطبه سيليا فكا متهددا إياه وأخذ بتلايبيه ؛ ولم أسمع ما دار بينهما ، ولكن مما رأيته في وجه جريشل من أمارات اليأس والخوف ، وما شهادته من حركاته المضارعة استطعت أن أحس ماذا فعل

ولقد ارتدى اليهودي مرتين على قدمي الشاويش ؛ وأدخل يده في جيبه وأخرج منديلا خلتا وحل عقده وأخرج منه قطعة ذهبية من النقد ، وأخذ سيليا فكا ما قدم إليه في كثير من الشم ، ولكنه لم يكف عن سحب اليهودي من تلايبيه ؛ وجذب اليهودي نفسه فجأة وانطلق يعدو ، وتبعه الشاويش مسرعا ، وكان اليهودي يعدو عدوا شديدا ؛ وكانت ساقاء في جوربيه الزرقاوين ترفان في سرعة عظيمة ، ولكن الشاويش مالبث أن أدرك اليهودي وقد تكور على الأرض فأنهضه ، وحمله بين ذراعيه إلى المعسكر ؛ ونهضت من مكاني

ولم يع ما أقول وتتم يعض كلمات
منقطعة ثم ضغط على ركبتى فى رعب وهو
جاث أمامى

وسألته ثانية : أنت جاسوس ؟

فصاح صيحة خافتة وهو يهز رأسه
« أنا ؟ كيف أكون كذلك ؟ لم أفعل
ذلك قط واست جاسوسا أبدا ، هذا غير
ممكّن ، غير ممكّن البتة ، إني مستعد ،
سوف ، هذه الدقيقة ، إن لى مالا أعطيه ،
سوف أدفع مالا .. »

وهمس بالجملة الأخيرة ثم أغمض عينيّه
وانزلت قمعته العالية إلى الخلف حتى
عنقه ، وتندى سحره الجمار بعرق بارد ،
وتدلت منه دنول وكانت شفتاه زرقاوين ،
تحتلجان فى حركة تشنجية ، وكان حاجباه
مقطعين فى صورة أليمة وبدا وجهه مسنونا
وجاء الجند فتحاتوا حولنا ؛ وكنت قد
اعترمت أول الأمر أن أخوف جريشل ثم
أمر سيليافكا أن يكتم الأمر كله ؛ ولكن
النبا ذاع الآن ، ولا بد أن يبلغ مسامع
القائدين على شؤون الحرب . فقلت للشاويش
حذره إلى القائد

وصرح جريشل فى صوته نبرة اليأس
« سيدى .. سيدى ... لم آت ذنبا ...
مرة بطلقنى مرة بطلقنى ... »

وقال له سيليافكا « هيا ... إن القائد

سوف يقضى فى أمرك »
وعاد اليهودى يصرخ ورأى « سيدى
مرة ... كن رحيما بى »

والتنى صرخته ، فأمرعت الخطأ ،
وكان قائدا ألمانى الأصل ، وكان رجلا أميناً
طيب القلب ولكنه كان شديد الحرص على
اتباع قوانين الحرب ؛ ولقد توجهت إلى
البيت الصغير الذى كان قد أعد له على عجل
وشرحت له فى كلمات قصيرة سبب زيارتى
إياه ! وما كنت لأجهل صرامة القوانين
الحربية ، فقد تجنبته فى حديثى كلمة
(الجاسوس) وحاولت أن أسور له المسألة
على أنها شىء تافه لا تستحق الالتفات ،
ولكن القائد لسوء حظ جريشل قد وضع
واجبه فوق الرحمة ... وقل لى فى عبارة
روسية غير سليمة « إنك أيها الشاب غير
مجرب ... أجل إنك فى أمور الحرب لست
ذا تجربة بعد ؛ وإن المسألة التى تحدثت عنها
خطيرة ، عظيمة الخطر ... أين ذلك الرجل
الذى ضبط ؟ أين هو ؟ »

وخرجت فطلبت إلى الجند أن يحضروا
اليهودى ؛ وجاءوا به فأدخلوه وكان ذلك
الخلوق البائس لا يكاد يستطيع الوقوف
على رجله

فقال : القائد متعبها نحوى « والآن أين
الرسم الذى وجد معه ؟ »

، أعطيته الورقة فنظر فيها وقطب حاجبيه وقال في ثورة « هذا مدهش جدا ، من قبض عليه ؟ »

فانتمت سيليا فكا يقول في قوة « أنا يا صاحب السعادة »

فقال القائد : آه هذا حسن ، حسن ، والآب إليها الرجل ماذا تقول دفاعا عن نفسك ؟

وتتم جريشل قائلا « أنا ، سعادتك ، حقا ، سعادتك ، إنى لست مذنباً ، سل الضابط سل سيادته ، أنا بائع ، يا صاحب السعادة ، بائع أمين »

فقال القائد في صوت خافت وهو يهز رأسه عابسا « يجب أن يستجوب ، تعال ، كيف تفسر هذا يا صاحبي ؟ »

فقال اليهودي : لست مذنباً ، يا صاحب السعادة ، لست مذنباً

فقال القائد : لقد شططت متلبسا فأجاب : صدقني ، يا سيدي أنا ، أنا لم أجرم فسأله : هل رسمت هذا ؟ أنت جاسوس للعدو ؟

— فصرح جريشل فجأة « لم أكن أنا سعادتك ... لست أنا ... »

فنظر القائد إلى سيليا فكا فقال هذا « عجباً إنه يهتدي يا صاحب السعادة ، إن الضابط ، هو الذي أخرج الورقة من أحد خفيه »

فنظر القائد إلى فوجدهي مضطرا إلى

أن أومى : أسمى موافقا

وقال القائد : أنت جاسوس للعدو أيها الرجل وأجاب جريشل : لست أنا ... يا صاحب السعادة ، لست أنا

فقال القائد : اعترف : هل أمددت العدو بمعلومات كهذه من قبل ؟

فقال اليهودي : كيف أستطيع ذلك ؟ فقال القائد : إنك لن تخدعني أيها الرجل ... قل أنت جاسوس ؟

وأغمض اليهودي عييه وهز رأسه ورفع طرف سترته

ونطق القائد بعد صمت قصير قائلا في حزم « أستمع وفق القانون ... أين فيودور شليكلان ؟ »

وانطلق بعض الجندي يحضره واسليكلان مساعدا القائد : وأخذ وجه جريشل يبدو بخضارا وفيرا فاه ، وجعلت عيناه كالأرادنا أن تخرجها من حجريهما : ودخل القائد

المساعد فأخبره القائد بما يفعل : ثم دخل الحجرة مع الضابط يتساءلون بالأحداق وخاطبت القائد بالألمانية على قدر ما

أستطيع « أرجو منك الرحمة به يا صاحب السعادة » أطلقه

فأجابني بالروسية . أنت أيها الشاب غير مجرب كما قلت لك ، فالزم الصمت ولا

تضايقني أكثر مما فعلت »

وألقي جريشل بنفسه صارخا فوق

قدمي القائد

« عفوك أيها القائد ... رحمة بي ... »

... لن أعود إليها أبدا ... لا لن أعود ... »

إن لي زوجة ... يا صاحب السعادة ...

وبنتا ... كن رحيم بي »

وقال القائد : عبثا تحاول

فقال اليهودي : حقا .. يا صاحب السعادة .. أنا

مذنب ... إنها المرة الأولى ... يا صاحب

السعادة ... المرة الأولى ... صدقني

وعاد القائد يسأله : ألم ترسل معلومات قبل هذه؟

فأجاب : هذه أول مرة ، يا صاحب السعادة

زوجتي ، أطفالي ، رحمة بي

فقال القائد : ولكنك جاسوس

وأحس القائد كأن شيئا يخزعه ، ولكنه

لم يجد بدا ، فقال متألعا نفسه في هيئة من

يضطرب إلى أن يأتي من العنف ما يهز قلبه ،

ومن يضحى بشاعره الطيبة في سبيل

الواجب الذي لا معدى عنه : « استنقوا

اليهودي حينما يقضى به القانون ، استنقوه ،

وأنت يا فيدور أرجو منك أن تضع تقريرا

عن الحادث »

وغشى اليهودي شجاة تغير نحيف ،

فبدلا من ذلك الرعب المهيّب الذي هو من

خصائص طبيعته ، حل في وجهه ذلك الألم

الرهيب الذي يسبق الموت ؛ وتزى كما

يتزى أوحش السجين ؛ وظل منه مفتوحا

وسمعت حشرة في حلقه ؛ وصار يرب

ويهبط ، محركا مرفقيه في تشنج ، وكان

يتعلم خفا واحدا ، فقد نسوا أن يمطوه

ثاني الحفين ؛ وانفجحت سترته ووقعت

قبعته عن رأسه

وأخذتنا جميع هزة ووقف القائد

ساكنا في صمت ، وتقدمت إليه ثمانية فقلت

« يا صاحب السعادة هلا رحمت هذا الخلق

البائس

فأجاب القائد في ثبات وبن لم يخل من

انفعال قائلا « مستحيل » إنه القانون ، وفي

ذلك ردى لغيره »

وقلت : الرحمة ، أرجوك من أجل الرحمة

وصاح بي القائد « أيها القبيح

لا تتكلم وعد إلى موضعك » ثم دفعني في

غطرسة نحو الباب

وحيت وخرجت : وما لم يكن مكافئا

بموضع معين ، فقد بقيت غير سعيد من بيت

القائد وسهر جريشل بعد دقيقتين يحيط به

ضابط وثلاثة من الجند ؛ وكان اليهودي

السكين في ذهول عن نفسه يكاد لا يتقوى

على أن يجر رجله ؛ وذهب سيليا فسكا إلى

المسكن وعاد بعد قليل وفي يده جبل ؛

وكانت تبدو على وجهه الغليظ نظرة عجيبة

من رثاء وغضب ؛ وما رأى اليهودي الجبل

ولكن سارة سافقت تحذيري من يدي
ورحت أعدو خلفها . ونجى أن أدرك أن
الأرض قد دارت بي . ثم عدت أسيح بها
ألا قائدة من دهايب . وأن الأفضل أن
نذهب إلى القائد ، فربما استطعنا أن نعلمه
ووقفت سارة فجأة ولدت تحملوني في
وجهي كأننا مسباحون فقلت لها « إلهمني
ياسارة ، أرجو أن تدركي أنني لا أستطيع
أن أفعل شيئاً ، ولا أملك لأبيك شيئاً .
ولكن القائد يستطيع فلنذهب إليه »

فقلت في بيرة يحتمها السكاء « ولكنكم
قد يفرغون من سنفه أثناء ذلك »
ورأيت سكرير القائد فخرجت معه أن
يسمح لهم بالمرور فالتقي القائد ، فذهبت إليهم
بهذا الوجه . ولم يسمح لنا بالدخول على القائد
وعشنا رحت التوسل وأقمم الأمان ، وعشنا
راحت سارة أشد سمرها وتعلمت خفيها .
ثم إن السكينة أمسكت رأسها بيدها وأخذت
تعدو صوب الشجرة ، حيث يشق أروعها .
وتبعتها إلى هناك وما من أحد إلا وهو
ينظر إلينا معجباً

وكان الجند قد تحلقوا حول شجرة .
وكانوا يضحكون . تصوروا ذلك أيها السادة !
أجل كانوا ينامزون ويضحكون من جريشيل
المسكين . فصحت بهم زاجر . ورواها
اليهودي فارتمى على ابنته وأدار ذراعيه على

استلقى على الأرض ووضع رأسه بين ذراعيه
وأخذ يتعجب : ووقف الجند صامتين
حول شاخصين بإسارهم إلى الأرض ؛
وذهبت إلى جريشيل وخاطبته ، وكان يجيش
كالطفل ، ولكنه . يجني بل ولم ينظر إلى ؛
ومضيت واليأس في وجهي إلى خيمي
وارتميت على السادة مغمضاً عيني

ودخل شخص خيمي فجأة فرفعت
رأسي فإذا هي سارة ! فاندفعت نحوى
وتعلقت بي وأمسكت يدي ، وألحت على
لاهة ... هيا ... هيا

فقلت : إلى أين ؟ ولم تخرج ؟ لتبقى هنا ،
فقلت : أتقدم ، أتقدم ، الأب ! الأب !

فصاحت بها : أي أب ؟ أبو من ؟
فأجابت : أبي ، إليهم سيشنقونه

فقلت : ماذا ؟ هل جريشيل ...

فقاطعتني قائلة : إلى أبي ، أبي ، وسأخبرك
عن ذلك فيما بعد

ثم أضافت وهي تدفعني في يأس يداييد
« هيا ... هيا »

وخرجنا نعدو من الخيمة ، واستطعنا
أن نرى في الفضاء على مقربة من شجرة
فريدة جمعا من الجند ، وأشارت إليهم سارة
بيدها دون أن تتكلم

فصاحت بها قائلة « قفي » إلى أين نعدو ؟
« إن الجند لن يطيعوني »

نحو أبيها ، واعترض لها سيليا فكا ولسكنها
دفعته من طريقها ، وقد صعد الدم إلى
وجهها الشاحب والتمعت عيناها ، ثم بسطت
ذراعيها وأخذت تصيح قائلة : « لنزل بكم
اللجنة ثلاثا .. لعنة الجوع والتشريد والعار ،
لتنلنكم الأرض أيها السكارب المتعطشون
إلى الدم أنتم يامن لا رحمة لكم ولا دين
ثم خرجت صقة فرفعوها وبعدوا بها :

وأقبل نفر منهم فأخذوا جريشل ، وكان
السكين من «أوى ... أوى ... أوى ... لحظة
... لنرى شئ أقوله لكم ... شئ هام ...
... دقيقة واحدة ... أنتم تعرفونني ... أنا
بائع أمين مسكين ... انتظروا ... دعوني
... سارة ... أين سارة ؟ أوه ... أعلم أنها
عند سعادة ضابط هذه المنطقة ... أيها
الضابط يا صاحب السعادة أبتعد عن الخيمة
... نعم سأبتعد ... أتقذ رب أسرة ...
سأعطيك عشرة قطع من الذهب ... خمس
عشرة قطعة ... رحمة بي أيها القائد ...
أوى ... أطلقوني »

ووضعوا الجبل حول عنقه ، ووضعوا
كفي على وجهي وانطلقت متراجعا ، وقضيت
أسبوعين مقبوضا على

ولما أطلق سراحى ، خرجت وجمت
إلى المستشفى ، ثم سألت داترج ، ومضيفنا ،
ولا أزال كلما ذكرت داترج ذكرت سارة
تلك اليهودية الساحرة

عنقها ، وبعثت به سارة في كثير من
الحنان ، وظن السكين أنه قد عفى عنه ،
وسما كان بهم بشكري أشحت وجهي
فصرخ قائلا « يا صاحب السعادة ، ألم أنل
العفو ؟ » ثم دفن كفا بكف حين وقفت
سامتا وحين قلت بعد حين « كلا » . وتم
السكين في صوت خفيف . انظر يا صاحب
السعادة ، هذه البنت ، إنها ابنتي ، وإني
ما كنت أبتعد قط عن الخيمة . ما كنت
لأفعل ذلك مهما يكن الثمن » ثم خرجا ثانيا
وأعوض عيني لحظة وراح يقول « إني طلبت
مالك ، يجب أن أعترف بذلك . ولكن لم
أطلبه من أجل شئ »

وضقت اليهودي ، ثم أحسست أني
صائق كذلك بشريكته ، ولكنه عاد يهمس
إلى « الآن إذا نجيتني فأني سأمرها ، سوف
هل تفهمين ؟ كل شئ ... سأذهب إلى
النهاية »

وجاء نائب القائد لحاطبني بقوله « أيها
الكورنت أرى القائد أن أقبض عليك »
وأخذه نحو الجند قائلا « أما أنتم فعليكم
باليهودي ، أسرعوا »

وقلت لنائب القائد « مرغم على الأقل
أن يبعدوا هذه الفتاة »

وجذب الجند سارة من أيها في كثير
من العناء ، وابتعدوا بها نحو عشرين خطوة
والسكين ما أدت أن أفلتت منهم وانفدعت

البيت الحالى

للفقيهي الإنجليزي برنارد شو

انتظارا لا شعوريا صرخة أخرى وهو واقف بترقب، ولكن شيئا من ذلك لم يقع. وكان الليل ساكنا كما لو أنه لم يحدث شيء غير عادي، ولم يسمع أى شخص آخر كما يبدو صوتا ما، ذلك لأنه لم يكن هناك من يرى سواء في البيت أو في الطريق.

ولقد أخذ يتساءل عما إذا كان قد تحيل كل هذا: فلقد ظل يشغل جاهدا في حرفته إلى ساعة متأخرة، فإن ما ذهب له من نيت كسقاط كان قد أخذ يرداد في سرعة. ثم إنه وقف مترددا، لأنه وإن كان قد سمع صرخة قلبس في ذلك ما يهمه؛ وليس أنه ما يستطیع عمله؛ ولكن غرازا، كانت تسلي عليه ألا يصغى إلى العقل؛ وربما كان مرد ذلك إلى أنه اكتشف بيرة فنية في تلك الصرخة، كما نواها التمتع من بين شفتي طفلة.

ثم قال في نفسه فيما يشبه الغضب: «ألم في الإنسان» لا بد أن ذلك الصغير النعس يماني نوبة من الألم

إنه صدى خافت لصرخة حزينة تليق من نافذة من نوافذ الطابق الثاني... لا شيء أكثر من هذا؛ ولكن هذا الصدى غي ما كان من خفوة قد أعقب سلسلة عجيبة من الوقائع، لقد ألقى أوستن سيرن نفسه - وهو الذي كان من قبل لصا جسورا لا يرعوى - مشتبكا في سلسلة عجيبة من الحوادث لعب فيها دور البوليس السري.

وكان عجيبا حقا أنه لم يكن إلا على ممر خمس دقائق من مسكنه في شلسي؛ وكان ينقل الخطأ متشدا، نحو منزله عائدا من مشية بعد العشاء، حين أوقفه صوت تلك الصرخة. لقد جاءت، كما أيقن من ناحية (البيت) الذي يقع مباشرة عن يساره، وعلى ذلك فقد نظر مستديرا على عقبيه نظرة فاحصة إلى ذلك البيت.

وكان يكتشف البيت ظلام تام، على أنه لم يكن في ذلك الشارع من أوله إلى آخره إلا قليل من النوافذ التي يرى فيها النور، ولقد انتظر

مفاجئة . . . ولكن لم يكن هناك
أى دليل على الحياة في البيت ؛ لم يكن
هناك من يسرع إلى ذلك التأم بما عسى
أن يريحه ؟

ليدع ذلك كله ، فليس ثمة . هو من
شأه ؛ ثم إنه لم يصر في شيء من التردد
عن الطابق الثاني وأبسم ضحكا ، ولكنها
لم تكن ضحكة فكهة . إنها كانت ضحكة
الضيق لأنه لاحظ حينذاك لأول مرة ما غفل
عه ، حتى ذلك الوقت . لقد كان البيت خاليا ،
إذ كانت مصر طائفة من الإعلانات
توفده السفلى

واستدار وهو أن يتبع سيرة إلى بيته
وخطا خطوة في سبيله — وبمرة الثانية
سمع صرخة ! وأقسم هارما بين أنفاسه : إنه
لم يعد هناك شيء يحتاج ذهنه الآن . لقد كان
طفلا ذلك الذي يصرخ ، غفلا يتألم . وأسوأ
من هذا أن الصرخة قد حست فجأة كما لو
أن يبدأ تقيده قد طبقت على فم الطفل .
وقد حدث كل ذلك في بيت يبدو أنه خال !
لقد قطب جبينه . . . فإن في الأمر شيئا مريئا ،
شيء يتطلب البحث

ولم تنتع بهذه الحقيقة اطمأن إلى
قديم سليلته ومكره ، وأخذ سبيله
متشدا إلى الأمام . فإنه يكاد يوقن أن الشخص
الذي كتم صرخة الطفل سوف يسرع إلى

النافذة استوثق مما إذا كان قد سمع شيء
خارج المنزل ؛ فإذا أبصر ذلك الشخص
رجلا في الطريق ينظر إلى أعلى فإنه
يدرك أن شكا قد انبعث ، وعلى ذلك فما
دام أنه قد تذكر فلا بد أن يأخذ حذره
فيستلح قبل أن يباعث

وبدأ كان سيرتن سائرا أخذ يفكر
في استطاع عمله . أما أنه لابد من عمل شيء
فذلك ما انتهى إليه رأيه . فإن وجود
طفل في قبضة عات غليظ القلب مجرم قد
أبقت في نفسه كل مشاعر الفجدة والعطف ،
تلك المشاعر التي لم تمس قط في أغوار
نفسه بحيث لا تبرز إلى السطح ، حتى أيام أن
كان مجرم

تقدم كان أوضح السبل أمامه أن
يذهب إلى مخفر البوليس بقصته . ولكن
لو أنه فعل فماذا عسى أن يفعل البوليس ؟
أكبر القن أنهم سوف يصنعون غير مصدقين ،
ومخافة حين يعلمون أن البيت خال ؛ وإذا
فرض أنه استطاع أن يحبسهم على أن
يصدقوه ماذا في طوقهم أن يعملوا ؟ وأخذ
يكبر ذلك في نفسه

ولم يهتم . لم يخصصوا على إذن قضائي لن
يستطيعوا أن يمتصوا المنزل . وإنه ما لم
يقدموا بينة حاسمة فليس من المحتمل أن
يخصصوا على هذا الإذن . وكذلك لم ينب عن

شيران ما يمكن أن يفسر به الأمر من أن
أحد الكافين باعتقظه على ذلك المقار كان
يوقع بآفته عقابا يستطيع أن يزعم أنه عقاب
فانوني خفيف

وابتعت فكرة ، تلك أنه إذا لم
يستطيع البوايس أن يثبت هذه المسألة فليس
من يفعل ذلك إلا غر : به تقادر على ذلك .
أجل إن أوسن سيرتن اللص في سلف ،
تقدر على ذلك . به ما لم يكن قد فقد مهارته
يستطيع أن يدخل المنزل دخول اللص . ولقد
يقع من الأدلة هناك على ما يحمل به البوايس
على عمل . ذلك أنه كما تفكر في تلك
الصرخة . آذا ذكرها ، وازداد يقينا مما
أوجت به إليه بصيرته ، وهو أن شيئا مريئا
يمكن في ذلك البيت الخالي

واشتد الجدل بين ضميره . هل يعود
ولسنة واحدة كما كان سيرتن القديم ، ويهدد
الصفة يحاول أن يصل إلى دخول ذلك
المنزل ؟ إن هذا العمل لا يخو بالضرورة
من خطر ، ولكن ذلك الخطر إنما يفر به
بالإقدام ، لأنه يحل الخطر من أجل الخطر
في ذاته ، ولأن اقترابه منه ينعش خياله ،
ويريد ذاته في اعطارة . وهو يخشى من
ناحية أخرى أنه إذا ضاع فكرة إلى هذه
المغامرة الجديدة فإنه قد يضي في تنفيذها ،
ومن ثم يتعرض لأن يؤخذ بفعله ، ولو أنه

لا يلتفتي هذا مغنا لنفسه . وإنما يعمل في
سبيل طفل معذب

وحسر ضميره المعركة . فإنه منذ ثلاث
سنوات لم يعمل فعل اللص . لم يفعل ذلك منذ
أن أخذ يدوق لذة الفن ومنذ أن أخذ
يطرد نجاحه كنفقاش : ولكنه رأى أن
إتيانه هذا العمل مرة أخرى مغر نه أشد
الإغراء ، وبخاصة إذا كان غرضه هو ذلك
الغرض النبيل . يضاف إلى ذلك أن الظروف
مواتية له بصورة خاصة ، فإنه في دقائق
قليلة يستطيع أن يصل إلى بيته ، فيجمع
هناك ما به من أدوات ما هو بسببه من
عمل ثم يعود إلى البيت الخالي . أما ماذا
عسى أن يحدث بعد ذلك ، فليدع الزمن بيانه ،
على هذا فقد أسرع الخطي حوب مزلة فجة .
لقد تغلب عزمه . إن أوسن سيرتن سوف
يعود لصا متفححا ليلة واحدة ليس غير

كان أوسن بعد دقائق في سقته التي
يقطنها فوق محل عمله في شارع ستامبوب
بحي شيلسي . وقد خلع في سرعة معطفه
الخفيف ، وأنه ليستفي بأحدث نعمة من نعمات
الرقص ، وأخذ معطفا قائما من النوع الذي يقي
من النظر . واستبدل قممته بطاقيّة سدنة
السواد ودين في أحديويه مصباحا كهربائيا
صغيرا . ووضع في جيب آخر ما تأخذ
العين من مظهره أنه عبئة قضية للسكر ،

الليل ربع ساعة . وإذا رآه أحد فإن ذلك
يبعث الريبة في الحال

على أنه كان لديه من ناحية أخرى
المدخل الخلق . ولكن كيف يصل إلى
مؤخرة ذلك البيت ؟ ذلك ما لم يكن يعرفه
حتى ذلك الوقت . فمع أن شارع دريكوت
يقع قريبا من منزله لم يكن يألف جمراقية
هذه الحبة كل الألفة . ورأى أنه إذا عمل
في حيرة غير معلومة فإنه بذلك يحطّر قاعدة
من القواعد الأولى لأيام إجرامه حين كان
يألف دائما مكان عمله قبل أن يشرع فيه ،
صادرا في ذلك عما في نفسه من استعداد
للتنقش والزخرفة . ولكنه لم يقضى به
الظروف القائمة لا يجد مناصا من ذلك

بلغ شارع دريكوت فوجد مكانا كثيرا
الحركة إذا قارنه بما كان عليه من هدوء حين
مشى فيه من قبل . فلقد رأى سيارة أجرة
ينزل منها ثلاثة أشخاص عند المنزل رقم ٩
وكان يسير نحوه شخصان على الجانب
الأيسر للطريق . وكان يسير مبتعدا عنه عن
يمينه كواستابل من البوليس . وفي هذه
الظروف لم ينمطف شيرتن إلى شارع
دريكوت بل عبر الشارع ومضى قدما في
الطريق الذي كان يسلكه

وتبين أمها كانت حركة موقفة . فإنه
رأى على خطوات منه ممرا ، بين يمين وفكر

ولكن تلك العلبة إذا فتحت على صورة
أخرى لا يعرف سرها إلا شيرتن وحده —
وذلك بالضبط على زرخي — تكشف عن
مكان لم يكن يرب أحد ، وضع فيه شيرتن
كل أدواته ومفاتيحه التي يكسر بها الأقفال
والأبواب

ولما تذكر شيرتن تلك المغامرات التي
امطرح فيها تلك العلبة الفضية البريئة
المظهر ، اندفع الدم في عروقه ، وأثمت
عيناه ، وعاد مرة أخرى ذلك النص الذي
لا يرعوى ولا يبالي شيئا ، والذي كان
يقامر حيال القدر مقامرة ناجحة ، والذي
ازدرى قوى القساويون بأغنية من قلبه ،
وابتسامه على شفقيه ، وومضة في عينيه

وانخذ شيرتن سبيله ثانية إلى شارع
دريكوت ، وكان يفكر في أحسن وسيلة
بدخل بها المنزل رقم ١١ . ورأى أن خير
وسيلة أن يذهب مباشرة إلى باب التواحية ،
فإذا لم يكن قفله من أقفال «بيل» استطاع
أن يفتحه بأحد مفاتيحه العديدة التي
يحملها في علبته ، ولأنه يوقن أنه ليس
ثمة في ظهره من قضيب أورتاج ، وإلا لما
استطاع أن يدخل منه وكيل صاحب النار
وعملائه . على أن في هذه الوسيلة
عيبا . فليس مما جرت به عادة الناس
أن يدخلوا بيانا غير مسكون بعد منتصف

الأول قد جاءت على هذا الطراز ؛ ولكنه لم يستطع أن يراها ؛ فقد بلغ من حكمة الليل أن عينيه اللتين تمودتا في سنوات من العمل أن تريا في الظلام لم تستطيعا أن تنفذاه فيه

ورأى الحسن حفظه أن هناك ميزابا للمطر يرتفع حتى السقف . ولكم تسلق في الماضي مثل هذا الميزاب . وبعد أن تحسس مبلغ متاته ، أخذ يتسلقه ؛ ولم يحس في هذا من اليسر ما كان يحسه في الأعوام السالفة ، ولكنه واصل التسلق حتى بلغ موضعا يستطيع منه أن يرى النوافذ

ورأى أنها كانت تحمىها قضبان الحديد ، وليس هذا شأنها فحسب ، بل إنها تبعد عن أن يراها . ولما كان الحال كذلك . فإنه لم يجد في التسلق جدوى ، فإذا فرض أن نوافذ الطابق الثاني لا تهمها القضبان ، فليس في وسعه أن يصل إليها .

وترأى هابطا إلى الأرض ، فإن كان لابد له أن يقطع قضبان الحديد فكما أسرع في البدء بعمله كان ذلك أوفى بالعرض وبدأ عمله وقد أخذ كل ما وسعه من حيلة ، ولما كانت أدواته منتقاة خير انتقاء فإنه لم يمض وقت طويل حتى أتى على أحد القضبان ، ولم يزل يقطع حتى استطاع أن يدخل الطبخ . وأخذ يتحسس سبيله إلى

أنه من الممكن أن يؤدي إلى ساحة عامة لجميع البيوت في شارع دريكوت . وما لبث أن أنجبه نحو ذلك المر ، فوجد أنه لم يخطئ إذ رأى نفسه بعد ثوان يقبع لدى الباب الخلفي للبيت الحادي عشر ...

وما لبث تلبث ليصنئ إلى ما قد يندره من أن أحدا قد بصربه ، حتى أخرج من أحد جيوبه قفازا من انطاط فلبسه ، ثم أخذ يفحص الباب ليرى ما هو صانع ، وفي يديه مصباحه وأدواته . وكان الباب مكينا . ولما تصوره من الداخل خيل إلى شيرتن أنه لم يكن ثمة قفل فحسب ، بل إن الباب تحصنه الأرنجة من أعلى ومن أسفل ، وذلك لا يميل فتحة مستحيلا وإنما بطيل أمد ذلك العمل .

وكان على جانب الباب شباك تكسبه المنعة قضبان قوية من الحديد . وقطب حاجبيه بمض الشئ ، فإن هذا الشباك الذي كان من الصغر بحيث لا يتفد منه إلا شاب بحيل الجسم ، محصن تحصينا قويا فيه نذير شوم بما عسى أن تكون عليه النوافذ الأخرى . وقد رأى الحال كما توقع فإن تلك البيوت التي بنيت في هذا القرن ، قد حصنت نوافذ طوابقها الأرضية أكثر مما يحصن دكان بائع الجواهر .

وفكر فيما إذا كانت نوافذ الطابق

كلمة تستعمل في هذا الصدد ؛ فقد كان اتفاقا غريبا أن يرحل هؤلاء الذين كانوا في البيت في تلك الدقائق القليلة التي غاب فيها عن المكان ؛ وكان غريبا حقا أن يرى من الصمب عليه أن يصدق أن رحيلهم في هذا الزمن كان اتفاقا ؛ فإما أن يكون قد رآه أحد وهو ينظر إلى أعلى البيت فنبه ذلك من كانوا به ، وإما أن البيت الخالي لم يؤو أحدا قط !

ووقف يتدبر في الأمر في إحدى الحجرات العليا . إنه لا يستطيع أن يصدق على الرغم مما تنبئ به المظاهر أن البيت كان خاليا حين مر به من قبل في هذه المشية ! وإنه ليقن أنه لم يتخيل هاتيك الصرخات ولا هو أخطأ الجهة التي انبعثت منها .

وزم شفتيه في عزم ؛ إن أوضح السبل أمامه أن يتمشى الآثار في الأماكن التي حل بها أشخاص منذ قريب ، ولكنه كي يفعل ذلك لابد له أن يطلق النور من مصباحه وهذا عمل مخفوف بالخطر ، إذ أنه مهما يبلغ من حذره ، فإن من المحتمل أن يرى ذلك النور من خلال النوافذ التي لا تحجبها ستار . وما إن يحدث ذلك حتى يرى المكان محاطا من أقطاره بنفر من البوليس . وأخذ يزن ذلك الخطر ، ولكن تذكره ألم الطفل جعله يسمم فتمز زر الصباح ، وأضاء النور

الباب فإنه لم يجرؤ أن يبعث النور من مصباحه . وامتدى إلى الممر المؤدى إلى واجهة المنزل . وكان جو المنزل قابضا تنبعث منه رائحة عفنة . ولم يكن ثمة من صوت إلا ما تحدة أسنان فأر خلف الوزرة الخشبية للجزء الأسفل من الحذر ووصوة مرة أو مرتين ؛ أما عن آدميين فلم يكن هناك أدنى صوت ...

وأصغى لدى باب أول حجرة بلغها ولكنه لم يسمع شيئا ؛ ولما أصابه الحساسة حول الكرة وأدارها في بطاء حتى استطاع أن يدفع الباب ففتحه ؛ وأصغى ثانية فلم يصل إلى سمع شيء ، وأرسل النور من مصباحه فرجد الحجرة خالية

ووجد بقية حشرات المنزل كهذه الحجرة ؛ فليس في البيت كاه نفس من السقف إلى الأرض ! ورأى أنه مما لا يصدق أن كل شخص قد احتفى في مثل هذه السرعة فهو لم يستغرق إلا عشرين دقيقة على الأكثر ليصل إلى شقته وليجمع أدوانه وليعود ثانية إلى هذا البيت الخالي . ولكن من كانوا فيه قد اختلفوا في هذه الدقائق . على أنه يسأل نفسه لم لم تكن فكرة اختفائهم تمثل هذه السرعة مما لا يصدق ؟ إن الأمر لا يتطلب أكثر من دقائق للتسلل في هدوء من البيت ... كلا إن الغرابة هي أنسب

مطاردها فالتقطها وحملها وخرج بها من الحجرة
واتبع بنظره الأقدام وهي تخرج من
الحجرة . ولم تكن القصة خارج الحجرة
سهلة القراءة . فإن الآثار قد تناثرت هنا
وهناك من الحجرة الثانية في الواجهة إلى
السلم ومن السلم إلى تلك الحجرة ، كما لو أن
الرجل قد صعد السلم أكثر من مرة ليدخل
الحجرة التي تقع عن يمين شيرتن ؛ كذلك
قد أدت أقدامه هو إلى طمس تلك الأقدام
بعض الشيء

واعتزم أن يفتش الحجرة الأخرى في
الواجهة ، واتخذ الحيلة كي لا تخلط قدميه
بآثار ذلك الشخص . ثم دخل للمرة الثانية
الحجرة التي تقع في الجهة اليسرى للمنزل .
وهنا كشفت أرض الحجرة عن قصة أخرى ؛
تلك هي أن الطفلة قد حملت إلى تلك الحجرة
ووضعت ممددة على الأرض إلى جانب الجدار
الداخلي . ولا يمكن أن يعرف مقدار ما قضته
هناك من زمن على تلك الحالة . ولكنه
يعتقد أنها تخلصت من قيودها ونهضت على
قدميها ، وجرت من تلك الحجرة إلى
الحجرة المجاورة

ولم اضطرت إلى أن تفعل ذلك ؟ لم لم
تندفع صوب نافذة الحجرة التي أُنيت فيها ؟
لقد استطاع أن يجد إجابة ممكنة على سؤاله
هذا حين فحص الأرض بجوار النافذة .

الخافت دائرة صغيرة من أرض الحجرة
وأخذ وظهره إلى النافذة ينقل النور في
بطء من بقعة إلى بقعة ؛ وكان يغطي أرض
الحجرة تراب كثيف ، بلغ من كثافته أن
قدميه كانتا تتركان فيه أثرا واضحا . ووقف
نجاهة كأنه تصلب ، فلقد استطاع أن يرى
آثار أقدام إلى جانب ما تركت قدماه من أثر ،
ورأى أنها واضحة وضوح آثاره ؛ ولم يعد
بعد ذلك في حاجة إلى برهان آخر ...

ولما ألقى نور الصباح الكهربائي في
دقة على هذه الآثار تبين أن قصة يمكن أن
تقرأ فيها ؛ فلقد دخل الحجرة غيره شخصان
آخران أحدهما طفل ؛ وكانت آثار قدمي
الشخص الآخر عريضة كبيرة ، ولا يمكن
إلا أن يكون رجلا ضخما ذلك الذي تركت
قدماه هذه الآثار ...

ولا فحص شيرتن الآثار فحسا دقيقا
أحس بشيء من الدهشة ، فع أن آثار قدمي
الطفل كانت صغيرة فإن إحداها كانت بعيدة
عن الأخرى ؛ ثم إنهما توقفتا على بعد ياردة
من النافذة ولم تعودا صوب الباب

على أن دهشته ما لبثت أن زابت ،
وذلك حين استبان له تفسير ذلك فقد جرت
الطفلة إلى داخل الحجرة يتبعها مطاردها
(لأنه يعتمد أن هذه آثار قدمي بنت) وقبل
أن تصل إلى هدفها وهو الشباك ، أدركها

إن الرجل كان يقف إلى جوار النافذة من حين إلى حين . ولملح كان يطل من النافذة على الشارع في الوقت الذي استطاعت الطفلة فيه أن تفلت من قيودها ، ولملح رآها حين أوشكت أن تخرج من الحجرة فصاح مغضبا فانطلقت منها صرخة خوف واندفعت خارجة من الحجرة . ثم إنه جرى في أثرها وأمسك بها في الحجرة الأخرى ، فما كادت تصرخ ثانية حتى أطبق بيده على فمها ثم حملها بين يديه وكان يرى هذا التفسير ممكنا ، حتى لقد أخذ يتساءل عما إذا كان عسبا أن يعلم جديدا من الأمر إذا فحص الحجرات الأخرى . إنه إذا سلم بأن ما استنتجه صحيح فلا يزال أمامه كثير مما يتطلب أن يعلمه فمن هي الطفلة مثلا ؟ ولم توجد في بيت خال أسيرة كما ينبغي الحال ؟ ولماذا أسرت ؟ ولماذا جئ بها إلى المنزل الحادى عشر في شارع دريكوت بدلا من أن تؤخذ إلى أى مكان آخر ؟ وأين يقع المكان الآخر ؟

ومع أنه فحص كل شبر من الغرفة لم يجد مجدها ما يكشف عنه . وعلى ذلك فقد اتجه إلى الطابق الأول ، حيث توجد حجرات في مؤخرته كما يوجد في واجهته . ولم يكن في حجرات الوجهة ما عسى أن يدل على شيء ، فإنه كما تبين ، لم يدخلها أحد سواء . كذلك لم يدخل الحجرة الخلفية اليمنى

أحد . ولكنه لم يكده بفتح الأخرى حتى تبين فيها آثار أقدام . وتمقب تلك الآثار ، فإذا بها تمتد من الباب حتى النافذة في غير التواء ، تلك النافذة التي عزت عن أن يبلغها شيرتن حين تسلق الميزاب . وحين أطلق نور مصباحه رأى على أرض الحجرة ما بعث في جسمه هزة الدهشة ، فقد كان يتناثر على الأرض بقايا محترقة من أعواد الثقاب وبقايا من أعقاب الدخان . وكان ما أشعل من تلك الدخان سبع عشرة دخينة ؛ ومن الناحية الأخرى كان عدد أعواد الثقاب اثنين وعشرين ونجهم قليلا . لماذا يجدا اثنين وعشرين عودا لسبع عشرة دخينة ؟ لو عكست هذه الأرقام لأمكن أن يتضح تفسير ذلك . إن عددا من الدخان في بعض الحالات يشعل بثقاب واحد ، أو إن دخينة تشمل من بقية دخينة أخرى على التعاقب . وإنه كما تدل الحال إما أن تكون قد أشعلت بعض الأعواد لتبين الوقت أو أن الرجل كان يدخن في بقاء شديد بحيث انطقات دخينة أو دختان ولزم الأمر أن تشعلا من جديد . فإذا كان الفرض الثانى هو الصحيح ، أفدنا من ذلك دليلا على أن الرجل قد وقف مدة طويلة إلى جوار النافذة ، فإن استنفاد سبع عشرة دخينة لا يتم إلا في زمن غير قصير وكان السؤال الثانى الذى وجهه شيرتن

خارج الدار مبكراً » وكان سير إدوارد وذلك اللص السابق قد تعارفا منذ استطاع شيرتن أن يساعد سكتلند يارد في مسألة سنيك بينللى . وإنه لم يكن أن يقال في كثير من الحق إن صداقة وثيقة قد أخذت تنشأ بين الرجلين ، وإنه على الرغم مما اتسم به شيرتن في سابق حياته ، كان في شخصيته من الظرف والمرح الذى يسرى منه إلى من حوله مالا يقوى معها على الإعراض عنه إلا الفلياون

ولم يضع شيرتن وقتاً فاتجه إلى غرضه من الزيارة « ثلاً : « أعتقد أنك بالضرورة تحيط علماً بتفاصيل اختفاء بنت مورتن ميرى ديو ؟ »

وأجاب سير إدوارد فى جناء « نعم لقد اختفت باميليا ميرى ديو من حجرة نومها الليلة الماضية بعد أن أويت إلى مضجعها مباشرة ، ثم إنها قتدت بعد ذلك . وعلى الرغم من البحث فى تلك الحيرة ، ومما فعله رجالنا من استفسارات كاملة عند الناس فلم يعرف بعد أين توجد البنت ، وبقيت المسألة كما يتبين سرا عميقاً . إنه من المؤكد أنها لم تخرج من المنزل من الباب الرئيسى ، لا ولا هربت من باب المطبخ . ويستحيل عليها أن تكون قد خرجت من النافذة ، وعلى ذلك فليس يعلم أحد كيف هربت »

إلى نفسه ، لماذا يقف الرجل زمناً طويلاً ربما بلغ ساعتين إلى جوار نافذة خلفية ؟ إذا كان حاله أنه كان يحس القلق خوفاً من زيارة مباغتة فمن الواضح أنه كان أولى به أن يقف إلى جوار نافذة أمامية . أكان فى موقف حراسة أم كان فى موقف انتظار ليس غير ؟

وتوالت إلى ذهنه الاحتمالات والتعليقات والاستنتاجات . وتدقت فى ذهنه اليقظ كل تفاصيل هذه المؤامرة المحكمة . ونزل فى خطوات سريعة من هذه الحجرة الخلفية إلى المطبخ ، وهناك فُحص الباب المؤدى إلى الفناء ، وندت عن شفتيه كلمة إعجاب بنجاحه . لقد كان كل ما استنبط صحيحاً ؟ ولقد وقف الآن على كثير من التفاصيل . وما تبقى بعد ذلك ، إذا استثنى أمراً واحداً ، سوف يكشف فى الصباح . أما هذا الأمر الذى يستثنيه فقد كان مع الأسف أهم ما فى الموضوع كله ، ألا وهو مكان الطفلة فى أى جهة أخذها الرجل ؟

دهش سير إدوارد ولأوبى وكيل البوليس إذ رأى أوستن شيرتن يزوره فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى وحيا سير إدوارد زائرة شيرتن بقوله « طاب صباحك يا شيرتن ، ها أنت ذا

ولن يدهشني أنك سوف ترفضها بادی
الرأى . ومهما يكن من الأمر فهاهى ذى :
هل تمدنى برجل أو رجلين من البوليس
لأغراض تعقيبية ؟ »

ولم يجب سير إدوارد لتوه ، وإنما أخذ
يفكر تفكيراً عميقاً ، وإنه ليطرق المكتب
أمامه بقلم الرصاص فى غير وعى . ثم إنه
رفع رأسه ونظر صوب شيرتن قائلاً « إن
هذا حقاً مما لم تسبق به سابقة ، وهو مطلب
ليس يسهل إجابته إذ يأتى هكذا من
شخص مثلك ليس ثمة من علاقة رسمية بينه
وبين سكتلند يارد . ألا تستطيع أن تكون
أوضح قليلاً ، فترىنى على وجه التحديد ماذا
تريد أن يفعل هؤلاء الرجال ؟ »

وأجاب شيرتن قائلاً « أريد أن تضعهم
بحيث يراقبون بيت ميرى ديوى فى طريق
بورنسموث ، وأن تأمرهم أن يتعقبوا كل
شخص يخرج من الباب الخلفى للبيت ؛
ويجب أن يلازم رجالك هؤلاء الخارجين كل
الملازمة ، وأن يخبروك بالتليفون إذا انجبه
شخص من هؤلاء إلى بيت ما ، وعلى رجالك
بعد ذلك أن يراقبوا هذا البيت ، وأن
يلاموك ما يرتابون فيه هناك من حركة .
هذا كل ما أريد »

ونظر سير إدوارد متعجباً ثم قال
« وكيف يؤدى ذلك إلى العثور على بامبلا »

وأشمل شيرتن دخينة ثم قال « ينبغي
ألا تستعمل لفظة الحرب ياسير إدوارد .
إن بامبلا قد اختطففت »

وحملق وكيل البوليس فى وجه محدته
فى دهشة قائلاً « لك الله ! ماذا تعرف عن
هذه المسألة ؟ »

وقال شيرتن « قليلاً » .. ثم إنه
سكت لحظات ، وأخذ ينظر مفكراً إلى
صاحبه ؛ وبدأ عليه أخيراً أنه جمع رأيه
فأخذ يتكلم فى بطاء

« أجل ياسير إدوارد ... إني أظن أنه
بمساعدتك إياى سوف يكون لدى من
الفرصة ما يمكننى من العثور على بامبلا
ميرى ديوى ؛ ولكن يجب أن أطلب إليك
أن تثق بى فترة . وسوف أكون معك أميناً .
إن فى ذهنى خطة للعثور على البنت ،
ولكنها قائمة على تفكير مضحك يبلغ من
السخف أن أخشى حتى التلبيح إليه كيلا
يسخر ذهرك المدرب من المشروع كله ،
ولكنى لا أستطيع النضى وحدى فى الأمر
فلا بد لى من المعونة » وأوماً وكيل
البوليس برأسه ، ثم سأل محدته فى هدوء
قائلاً « لست بالأحق يا شيرتن فماذا تريد منى
أن أصنع ؟ »

وضحك شيرتن ضحكة خفيفة وقال « إذن
فإنى أحذرك أن طلبتى مما لم تسبق به سابقة

ميرى ديو ؟ »

فقال شيرتن « ستعلم ياسير إدوارد ذلك في حينه ، أخشى أن أراى مضطرا إلى أن أسألك أن تنوبى »

فأجاب . وكيل البوليس بعد صمت قليل « إني أميل إلى الاعتماد على كلمك يا شيرتن ولكي أصدقك بىنى أن أقول إننا عجزنا عن أن نصل إلى أدنى شئ يمكن أن يؤدى بنا إلى معرفة مكان البنت . ولم أنس بعد مهارتك فيما وحيته به مسألة بىنلى ، وعلى ذلك فإذا كنت قد أعددت الأمر لتكشف شيئاها ما يتصل بمسألة يردى بو هذه فلا بأس . ثم هركت فيه واستأنف كلامه قائلا « سوف آخذ على عاتق تبعة إمدادك بما تطلب من معونة »

وبدا الامتنان على وجه شيرتن ، ثم جهر فى حماسة قائلا « إن هذا جميل منك ياسير إدوارد ، إبنى آمل أن أريك قبل وقت طويل أن ثقتك بى لها ما يبررها »

وبعد دقائق حملت سيارة أجرة شيرتن ومعه ثلاثة رجال يرتدون ملابس عامة الناس . ولما بلنوا طريق بورتسموث ، وجه شيرتن الرجال إلى الجهة الخلفية للنزل ، ولما أشار إلى مدخل الزبائن إلى منزل ميرى ديو عاد يؤكد لهم جميعا ما لدقة مراقبتهم من أهمية عظمى . ولما تفرق الرجال ووقف كل منهم

فى المكان الذى احتير له بحيث لا يرى ، غادر شيرتن القناء وعاد إلى طريق بورتسموث حيث توجه إلى المنزل رقم ٥ ودق بيسده الباب ، ولما فتحة الخادم سأله شيرتن عن ميرى ديو

فنظر إليه الرجل نظرة ارتياح وقال « أخشى أن مستر ميرى ديو سوف لا يستطيع لقاءك اليوم ياسيدى فإنه ... »

فقاطعه شيرتن فى خشونة قائلا « أعلم ذلك ، إنى قادم من سكتلند يارد ؛ أخبر مستر ميرى ديو أن البوايس الصرى والنجاتين يريد أن يتحدث إليه »

وتغير موقف الخادم فى الحال . ثم تقدم شيرتن إلى غرفة الاستقبال . وما كاد يخرج الخادم منها حتى دخل مستر ميرى ديو ، وإله ليكاد يمدو مبرعا ، وكان وجهه شاحبا مكدودا بسبب ما عاناه من قلق طول ليله .

وسأل شيرتن فى الحمرة « ألدبك أخبارا ؟ » وتردد شيرتن ولكن تردده لم يلبث إلا لحظة . فإنه لم يكن يستطيع وقد تقدم إلى هذا الحد أن يتراجع الآن فقال « أعتمد أن لدى أبناء طيبة لك ياسيدى ؛ إن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أننا اهتدينا إلى مكان البنت ، وإننا الليلة بعد الحادية عشرة سوف نباغت بهجومنا ذلك البيت حيث

نأمل أننا سوف ننفذها »

ونعم الرجل قئلا « شكر الله » ثم نظر في لفظة إلى شيرتن وسأله « ولكن لماذا لا ننفذونها الآن أيها الرجل ؟ فكر فيما عسى أن يصيب يامبلا حتى ذلك الوقت » وأوشك في حرقه أن يتعلق بيدي شيرتن وأجابه شيرتن في هدوء : « إن لدينا من الأسباب مالا نهاجم معه ذلك البيت قبل هذا الموعد . وأظن أنك تستطيع أن تطمئن أنه لن يمس يامبلا أذى مدة الانتظار » ونهض شيرتن قائلاً « وأظن كذلك أنك تستطيع أن تتحمل هذه الأنباء السارة إلى قومك يامستر ميرى ديو ؟ فإنى واثق أن ذلك سيريح نفوسهم ؛ وبهذه المناسبة نبتهم ألا يخافوا إذا رأوا رجلا يراقب واجهة المنزل ، فقد وضعنا رجلا هناك للحديقة فحسب » ومد ميرى ديو يدا مرتعشة وهو يقول : « شكرا لك يامستر والنجان »

وقال شيرتن وهو يمد يده ليصافح الرجل « وبهذه المناسبة أيضا أقول إنى لو كنت مكانك لبقيت دائما إلى جوار التليفون لا أبعد عنه أبدا »

وعاد شيرتن من طريق بورتسموث إلى محل عمله حيث قضى يوما من أيام حياته . إن حركاته جميعا قد قصد بها إلى خير ما يرجى . ولكن إذا ثبت خطأ

استدلاله ، وإذا كان في تحمسه لإعادة يامبلا إلى أبيها قد سمح لحياله أن يطغى على عقله ، فإنه يكون قد أنى في هذا اليوم عملا من أخطأ ما يحمل طيلة حياته ، وذلك أنه بث أملا كاذبا في قلب والد حائر

وظل يقطع الساعات جبهة وذهابا في حجرة عمله الصغيرة ؛ وبدت له تلك الساعات كأنها أيام . وكما دق جرس التليفون اندفع صوب جهازه

دقت الساعة الثانية عشرة ، ثم الواحدة ثم الثانية ، ولم يلق شيئا . وأخيرا كلمه أحد الرجال الثلاثة فأباه أن خادم ميرى ديو ، غادرت طريق بورتسموث لتزور بيتا في كامبرول . وسأله شيرتن هل يقع ذلك البيت في حي مزدحم بالسكان ؟ فأجابه الرجل أنه مزدحم جدا . واستنتج شيرتن أن بنت الخادم تقطن هناك ولا أكثر من ذلك .

ونفس شيرتن عن ضيقه بكلمات حين وضع سماعة التليفون ، فليست هذه الأنباء ما أمل أن يسمعه .

ومضت ساعة أخرى . ودق جرس التليفون مرات أخرى ولكنها كانت لأمرور تتصل بعمله . ودقت الساعة الثالثة . وبعد ذلك بعشر دقائق اتصل به رجل آخر من الثلاثة .

لقد غادرت امرأة طويلة القامة عادية

المهندام

وصاح ميرى ديو مندهشا « إيفا ! »
وابتسم شيرتن ابتسامة الرضا ، وتمتم
لنفسه قائلا « إنها أنباء سارة » ، وهو
يخطو متثابرا نحو مقعد على خطوات

« إن إيفا هي زوجته المطلقة » ذلك
ما راح يحدث به شيرتن سير إدوارد حين
أخذ يتقص عليه كل ما حدث . ومضى
يقول « ولقد قرأت تفاصيل طلاقها قبل
أن أزورك هذا الصباح »

وأجاب قائلا وفي صوته شئ من الامتعاض
« ولكن كيف أمكنك أن تستنتج تفسير
هذا السر الغامض ؟ كيف عرفت كل هذا
في حين أننا هنا لم نعرف شيئا ؟ »

وقص عليه شيرتن ما حدث له في الليلة
الماضية ، وراح يقول « هكذا كما ترى ياسير
إدوارد أنه من الواضح أنها اختطفت وأن
الذى اختطفها هو ذلك الرجل الذى وقف
نحو ساعتين إلى النافذة الخلفية للبيت الخالى
في شارع دريكوت . وكان ينتظر — أو
هكذا كان اعتقادي — إشارة من شريك
له في بيت ميرى ديو . وحين تلقى هذه
الإشارة أشار هو بدوره كذلك إلى رجل
ثان كان قد وضع لدى الباب الخلفى للبيت
الخالى . ودخل هذا الرجل الثانى فناء بيت

المهندام بيت ميرى ديو بعد الساعة الثانية
مباشرة . ولقد تبمها جريا على مالدبه من
تعلبات فرآها تركب فى سيارة عامة حتى
فكتوريا ومن هناك ركبت فى قطار إلى
إيسوم ؛ واتجهت ماشية حتى بلغت جوسقا
أنيقا يقع غير بعيد خارج إيسوم ، وقد فتحت
لها الباب سيدة حسنة المهندام

فأمره شيرتن قائلا : « إبقى هناك
لا تترجح . تعاب أى شخص يخرج ومنه بنت
صغيرة » ثم ألقى شيرتن السماعة وخرج يعدو
من حجرة عمله

وكان قد أعد سيارته من قبل ووضعها
فريما منه . وأسرع فركبها وانطلق مسرعا
إلى طريق بورتسموث . ولم تمض إلا دقائق
حتى أخدمه ميرى ديو ، وأسرع صوب إيسوم
وظل ميرى ديو يستفهمه ؛ ولكن
شيرتن لم يشأ أن يحببه . وكان كل ما قاله
له : « إنها إما أن تكون أنباء سارة
أو لا تكون »

وبلغ إيسوم فى وقت قصير جدا .
وذهبا إلى الجوسق ، وكان رجل
سكتلنديارد على مقربة منه ، فأشار إليهما
بعلامة مؤداها : « لم يتغير شئ »

وسار شيرتن إلى الباب الصغير يتبعه
ميرى ديو ، ودق شيرتن الباب ، ففتح من
غير إبطاء . ووقف فى مدخله امرأة حسنة

أتجه بتفكيري إلى أزوجة ميرى دبولها يد
في هذه السأله فإنها كانت دخائن عبد الله ،
وكانت أعواد الثقاب من الشمع ، ولا يقرن
المرء على أى حال دخائن عبد الله ولا أعواد
الشمع يحترق في اختطاف الأطفال . وأخذ يبدو
لى الاختطاف أقرب إلى أن يكون انتقاما
شخصيا ، وكذلك أوحى إلى انتظار ذلك
الشخص إشارة في الجهة الخلفية ، أن الطفل
أو الطفلة اختطفت من أحد البيوت في
طريق بور تسموث

« وما إن بلغت منزلى وهذه الأفكار
في رأسى حتى نظرت في الدليل الحلى ، وحين
وقعت على اسم ميرى ديو رأيت أنه يقيم في
منزل يقع خلف البيت الخالى مباشرة في
شارع دريكوت وتذكرت بمض الشئ
قضية الطلاق بينه وبين زوجته ، ونظرت
في الصباح في تفاصيل القضية فرأيت أنه
صاحب الحق في حضانة الطفلة

« واستطعت أن أتخيل شعور أم تحرم
من طفلها ، وأدركت في رأسى ما إذا كانت
هذه الأم قد طلبت إلى أحد أصدقائها أن
يدبر هذا الأمر ؟ وإن هذا التفسير ليتفق مع
وجود ذلك الشريك الذى أشار من بيت
ميرى ديو

« ذلك ماجعلنى أحاول محاولتى ؛ لقد
أخبرت ميرى ديو أن البوليس ربما عثر

ميرى ديو ومعه سلم بطول ويقصر وقد مده
إلى نافذة پامبلا ، وصعد وربما أنه استطاع
بذلك أن يلفت نظر البنت فصعدت إلى
النافذة وفتحتها ، وعند ذلك أمسك بها أو
استعمل مخدرا ، ورفعها إلى عاتقه ، وأغلق
النافذة ، ونزل . ثم إنه أوى إلى البيت الخالى
ومعه البنت والسلم حيث قابله الرجل الأول
« ولقد وضع السلم في أحد مخازن
البيت الخالى ولا يزال هناك . أما البنت فقد
غلت وقيدت وحملت إلى غرفة في أعلى المنزل
وفي تلك الأثناء خرج الرجل الثانى إلى مكان ما
حيث أعدت سيارة . وفي موعد محدد
بعد بضع ساعات أتجه الرجل الثانى بالسيارة
إلى شارع دريكوت وتلبث قليلا حتى رأى
الشارع خاليا فوقف عند رقم ١١ . وما أن
فعل ذلك حتى برز الرجل الأول ومعه پامبلا
وركبا السيارة وانطلقا بعيدا عن المكان
« وما كادت تخطر على بالى فكرة
الاختطاف حتى أصبح كل ما بعدها يسيرا ،
فإن بقايا الدخائن قد دلتنى على انتظار الرجل
لدى النافذة لينتقى الإشارة . وزاد يقينى
ما وضع في الباب الخلفى من زيت كي يفتح
في يسر وكبلا يحدث أى صرير . كما أن
بقايا الدخائن من النوع الآخر قد دلتنى على
وجود رجل ثان

« وكانت دراستى بقايا الدخائن أول ماجعلنى

ذلك لأنى وقد كنت مجرماً سنوات طويلاً ،
أصبحت أحد من اليسير على أن أستنبط
الجوانب الإجرامية فى كل مسألة »

واقتنع سير إدوارد بهذا التمليل ثم
قال « مهما يكن السبب يا شيرتن فخذ هذه
الكلمة منى ، ذلك أنك ، إذا أردت ،
تستطيع أن تكون بوليساً سرى بارعاً »
وابتسم سير إدوارد وهو يمد إليه يده قائلاً :
وعلى أى حال فقد أسديت اليوم صنيعة كريمة
لمزد من الناس »

« ذر القناع »

على الطفلة الليلة ، وطابت إليه أن يذيع
هذا النبأ السار فى قومه ، مؤملاً أن يعمد
الشريك إلى إخطار الفاعل الأصلي ، وهذا
ما حدث كما تعلم . وطلبت إليه أن يظل
قائماً لدى التليفون حتى لا يتخذ التليفون
أداة للصلة بينهما »

فأجابه سير إدوارد قائلاً وهو ينظر
إليه نظرة تهكم « يالك من لص مقتحم
أصبح بوليساً سرى ! »

فاحمر وجه شيرتن وتمتم بقوله « أكاد
أسمى نفسى بوليساً سرى » . ثم توقف
وفكر فى عمق وعاد يقول : « ربنا كان

قطاً فطبع — الحل



كانت النافذة مغلقة ، فقد فتحها رجل البوليس ، وقد
استوثق من أن الزوج والطبيب لم يمسأ شيئاً فى الحجرة غير
التبائن والجثة ، ولذلك أيقن أن قصة الشيخ مخترعة . وقد
أطلق الزوج الرصاص على زوجته متممداً ؛ إذ لو كان أطلقه على
الشيخ الواقف أمام النافذة كما زعم لكسرت إحدى الرصاصات
على الأقل زجاج النافذة وقد اخترقت الجثة !

وأخيرا اختارت

بقية المنشور على ص ١٦

يا سكينه أن يراني على هذه الحال من
السمم ولذا جئت إلى هنا من طريق غير
طريق بيته »

فأجابت سكينه « لقد رأيت في وجهه
الشوق إليك والإعجاب بك و ... »

فقاطعتها مأمونة قائلة « كفى ... كفى
يا سكينه ... ماذا يريد مني ؟ أنا زوجة وفي
بطني حمل .. إني خائفة يا سكينه .. أنسيت
ما قالت حميدة ذات يوم : إنهم يحسنون
الاستعباد ثم يتركون فرائسهم فيها للامار
والجوع . إني كنت قد ذكرت ذلك رقت عيني
اليسرى ولقد رأيت في وجهه ما أخافني ليلة
كنّا تحت النخلة »

فقال سكينه « أمن أجل ذلك إذن
مضيت ليلئذ إلى جانبي ذاهلة صامتة طول
الطريق ؟ لا تخافي يا مأمونة فما عرفت عنه
السوء قط ، أنت لا تعرفينه وهو والله يحبك »
وسكنت سكينه لحظة ثم قالت في تردد
« لست مدينة لي ، يا مأمونة كما افترت
الكذب عليك وكله من خيره وقد أكد
على ألا أخبرك بشئ .. وهو سيدى وطول
عمرنا أنا وأهلى في خيره ونعمته »

فقطرت إليها مأمونة مصفارة دهشة وقالت

« أمن أجل ماله إذ ذأ حرص عليه ؟ فلتهنأى
أنت بماله .. ولتحرصى عليه كما تحرصين .
أراه يشتريني ؟ إنه إذن لا ينظر إلى إلا كما
ينظر إلى خادمة ... كفى ... كفى يا سكينه
أنسيت ما قالت حميدة ؟ إني زوجة وسأصبح
أما يا سكينه »

ثم أحست بما في كلامها من فسوة على
سكينه فالتفتها الصفح ودمعت عيناها فمسحت
دموعها بطرف رداها ، وأطرفت في
حزن وصمت

فقال : سكينه « إلك تسرفين في
الحزن بنير داع يا مأمونة وأنت مخطئة ...
خادمة ؟ إنه ينظر إليك نظرة محب ... هل
نسيت من هو ؟ وهل نسيت يوم أن أعانك
بنفسه على حمل جرتك ؟ إنه لن يفعلها قط
مع غيرك ... ولقد ملأني الدهشة يومها
والله ... ولكنه الحب » ... وسرى عن مأمونة
فضحكت وبدا الاطمئنان في وجهها ... ومنذ
المرر أخذت تحتل النظرات إلى الشرق
على الرغم من مراقبة سكينه إياها عليها ترى
حسينا حين يعود ...

وأقبل حسين على مهره وقد غربت
الشمس فوجدها وحدها تحت الصفصافة ،
فقد انتقل الرجال إلى حقل آخر ، ووقف به
مهره تحت الشجرة وهو متجه بقلبه وبصره
إلى مأمونة وقالت سكينه ضاحكة « الطريق

ولا يتها مسهن ، حتى حميدة لم تعد مأمونة
تحفل بغيرتها وحقدتها ونذرها . . .

وعظمت دهشة حسين ذات يوم واشتد
ابتهاجه حين رأى عقده في جيبها وحين
رآها تضحك مرهوة لا بصر به . وأوحى له
ذلك أن يهدي إليها هدية أخرى . فليسترلها
خاتما وليهد كذلك إلى سكيئة هدية

وتزل مأمونة ذات صباح من فوق
السطح مهمومة تفكر ، فتسألها سكيئة عما
بها ، فتضحك قائلة ، إنها رأت في نومها
أنها ولدت غلاما وأنه مات ، وأنها في دار
أبيها قد طردها زوجها وغضب عليها والدها
... وتضحك سكيئة قائلة « سيعيش ابنك
طويلا وسيضعك عطية في عينيه »

فتهدت مأمونة قائلة : « أنا خائفة
ياسكيئة . نعم خائفة ... ليتني لم أعرفه
ولكنه طيب وأراه يعزى وما رأيت قط
مثل ما أرى في وجهه من حنان »

فقال سكيئة في اهتمام « إن أحسن
صبية في القرية تتمنى أن تنال من حبه
واهتمامه بعض ماتالين . وإنه لن ينساك
أبدا . وإذا شئت جعلك فوق رؤوس
الصبايا كلهن ومتمك بما لا تحلمين به »

فأطرق مأمونة قليلا وبداها الجميلة
السمراء فرق خدها الوردي الأسيل ثم
قالت : « أنا حارة يا مأمونة ... آه لو علمت

كله منور ياسيدى » فشكرها ضاحكا وقال :
« الدنيا كلها منورة بمأمونة ولقد كانت
موحشة مظلمة لغيابها »

فرفت إليه مأمونة عينيها الدعجاوين
الجميلتين وقد شاعت في وجهها الحمرة وقالت
في جراءة عجيبة : « الدنيا نور بوجودك ياسيدى
حسين أنشغل نفسك بي إلى هذا الحد ؟
ثم ابتسمت في دلال وخبت قائلة : « وماذا
بمحبك في فلاحه مثلى وأنت من يرى
في البندر ... »

فقاطعها قائلا : « مأمونة .. أنت تجهلين
نفسك ولا تدريين ما وهبك الله من جمال ...
فلاحه ؟ كلنا من آدم وحواء » ورأى ما بهشته
كلماته من بهجة وخيلاء في وجهها وجسمها
فحيأها وسلفتها تحية المساء وانصرف

وبلغت مأمونة وسلفتها دارهما ، فرأتا
في وجههما الفضب لآخرهما ورأت سكيئة
أن سلفتها لم تعد تبالي بهذا الفضب وأبصرتها
وهى تصمد إلى السطح مرحلة خفيفة كما
كانت قبل أن يمسا السقم . . .

عاد إليها مرحها وفتنتها ، وعادت تتبرج
وتسير بجرتها في مقدمة الصبايا . وعاد يرقب
حسين طلعتها كل صباح ، فإذا أبصرته تأودت
وتمايلت تحت جرتها وعابثت صاحباتها
ضاحكة لاتبالي بنظر اتهم بعضهم إلى بعض

وتحرجان بحجرتيها ما فتقع عينا مأمونة
أول ما تمان على حميدة فتمشى صفرة في
وجهها وترف عينها اليسرى .. ثم تقرأ في
عيني حسين أنه يتحرق شوقا للقائها على
حدة، فتضئ بذلك إلى سكينه وتحس سكينه
في كلامها الرغبة والشوق ...

سكن من حوله المساء، وأخذت
تنسكب على الجدر وعلى الأرض أشعة القمر
من خلال النخيل والسنط، وأخذت تنسم
نسائم المساء رغبة تنعش النفوس بعد قيط
النهار. وليس ما يقطع سكون الليل الساجي
إلا لحن كروان طروب ينسكب مع أشعة
القمر من أعلى السموات وفيه النشوة والروح
والاستغراق في صفاء الكون ..

وكان حسين يمد سمعه وبصره في ضوء
القمر إلى كل قادم، وقد أخذ يساوره القلق،
وكان يخالط شعوره بالهبطة خاطر مبهم يكاد
يفسد عليه سعادته، فهو يقول في نفسه:
إذا كان هذا مبلغ سعادتي بحب مأمونة فكيف
تكون سعادتي بحب أبتني به عشي وتقر
به عيني؟ ... ولبت شعري حتما يسحرنى
ما هو كائن عما أعتنى أن يكون؟ .. ولكن
لم لا أفرح كما يفرح ذلك الكروان الذي
يطلق ألحانه مرحة فنية ولا يفكر في غد
ولا في حاضر؟

ما أنا فيه ... إنه يحبني حقاً وإن أخفى عنك
أنى أكاد أظير فرحاً عند رؤيته. وإن اللائق
بها من عنى إنما تملأهن الغيرة ولم أعد
أبالي ما يتلن ... سكينه: إنى مع ذلك
أفكر طويلاً في التخلص منه ولكن ...
ولكن قلبي لا يطاوعنى وكثيراً ما بكيت»
فقلت سكينه ضاحكة عابثة «يا لك من بلهاء
.. ليت لى ربع مالك من حظ! ومن نالت
بمأمونة مثل ما نلت وما سوف تنالين؟»
فأجابتها مأمونة باسمه والدمع يطفى ألقى
عينيها السوداوين «أيقنا البلهاء يا سكينه؟
أنا زوجة وسأغدو أما .. وستصبح لى فى الدار
منزلة وسيفرح عطية بابنه وسيقبل عليه وعلى
كلما عاد من حنله وستحببني هاتى .. وهل
سيت يا سكينه أن سيدى حسين سوف
يفدو زوجاً ووالداً؟ هل يفكر فى يوم ذاك؟»
ثم تهدت مأمونة نهدة عميقة ومسحت دموعها
بطرفيها ... وعادت تقول فى صوت مختنق
«لينى ما طاوعت قلبي .. لقد نظر إلى
عطية أمس نظرة انكسار ومسكنة كأنه
يعلم بكل شئ ورأيت فى نومي أنى مطلقة
وأن ابني مات و ...»

فقاطعتها سكينه قائلة «هذه أو هام
الجل، هذه أو هام الجل ... قوى ... هاتى
جرتك فقد ارتفعت الشمس .. وهو هناك
يتحرق شوقاً لظلمتك»

ولكنه جذبها إليه فاختلفت على شفقتها
ابتسامة عذبة ولح في عينيها نشوة . ثم
التفت شفتاهما ... ولما طال عناقهما تلمست
منه ودفعته في رفق بيديها وأفلتت

ووقفت أمامه تنفض ، ولكنه يرى
الفرح في وجهها الجميل ، والرضا في عينيها
اللتين طالما هما قلبه في إثر نظرة منهما ، قد
ساعده ثانية فطوقها ، فاستسامت ، ولم يدر
في نشوة وحلمه كم مضى من وقت وهي
بين ذراعيه وفه على شفقتها حتى أفاقا على
وقع حوام المهر يضرب بها الأرض ،
فأفلتت مدعورة ، وهم بأن يدخل يده في
جيبه ليخرج الخاتم الذي اشتراه لها ولكنها
وضعت في يده خرقه مطوية على شئ
وانطلقت كأنها نعدو ، ونظر في الخرقه فإذا
به يرى عقده الذي أهدها إليها !

محمود الخفيف

ها هي ذي مأمونة لا ريب ! كلا إنها
سكينة . ومرت سكينة وعلى رأسها مقطاف
العشاء فضحكت ضحكة فهمها ، وكان مهره
مسرجا في مدخل الحديثة فسرعان ما ركبته
وسار في أثرها ، وكان لا يفتأ يلتفت خلفه
وينظر أمامه حتى أدركها عند الصفصافة ..
فتركته هناك وانطلقت صوب حقلهم البعيد
ونظر فإذا مأمونة خلفه ، فترجل في
الحقة وشد مهره إلى الشجرة ، ثم أقبل
محوها قائلا « مأمونة ؟ لشد ما تشوقت
إليك » ولما دنا منها كدره أن لم يجد عقده
في جيدها

وتماقب على وجهها الزهو والرضا
والخوف وهي تنظر إليه . ولح في بدنها
رعدة ، وأحس في أنفاسها تقطعا ، ورأى
سدرها يعاو ويهبط ، وسمع دقات قلبها .
ومد ساعده فطوى خصرها الدقيق في رفق ،
والاضطراب مل جسمه ، فأرادت أن تتراجع

من وراء المنظار

فصول انتقادية فكهة من حياتنا الاجتماعية

للاستاذ محمود الخفيف

كتاب في ٢٤٠ صفحة على ورق أبيض جميل

ثمنه ٢٠ قرشا — عدا أجرة البريد

يطلب من إدارة الرواية ومن المكتبات الشهيرة



فكر في الحل

أقتل أم انتحار ؟

وقف براون سائق سيارة الأجرة أمام مخفر من مخافر الشرطة بسيارته ، وأشار - وهو يخاطب مأمور البوابيس - إلى جثة ميت في السيارة يجلس مضطجعا وسط القعد الخلفي ، وقال للمأمور : « كان هذا الراكب يتحدث إلى سيدة أمام فندق بيرش حين أوقفت السيارة هناك ونزل منها شخص . ولما هممت أن أنطلق بها أشار بيده إلى ، ثم ركب فيها وطلب أن أذهب به إلى تقاطع شارع بيرلنجتون . وكنت أعرف أقصر طريق إلى ذلك المكان ، ولكنه طلب إلى أن أذهب من طريق طويل كثير المنعرجات ، ولا يخاف من عجوات (مطبات) . فأطعته . وقد اقتضاني ذلك زمنا طويلا لأصل إلى هناك »

فقاطعه المأمور قائلا « ثم ماذا ؟ استمر » فقال السائق : « إني أشهد الله ياسيدي على صدق ما أقول - لست أدري

من أين جاءت هذه الطمنة بهذه السكين المثبتة في قلبه ؟ إني لم أقف قط إلا عند التقاطع المعين . فلما لم يتحرك لينزل التفت فوجدت هذه السكين مثبتة فيه . وكنت يازاء مصباح من مصابيح الشارع فتبينتها في وضوح . وجسست نبضه فأيقنت أنه ميت ، فأسرعت إلى هنا . ولست أدري كيف أثبتت هذه السكين في قلبه إلا أن يكون قد طعن نفسه .. لست أدري ! » فسأله المأمور « أكانت تلك السيدة طويلة أم قصيرة ؟ »

فأجاب « كانت قصيرة نحيلة البدن . تبدو ذات حسن »

فسأله المأمور : « وهل كان الراكب الذي أنزلته عند الفندق رجلا أو امرأة ؟ »

فقال السائق « كان امرأة عجوزا ؟ » وهنا قال المأمور وقد نظر وهو في موضعه على الرصيف إلى الميت والسكينة في قلبه : « إياك تكذب يا براون » ثم أمر بالقبض عليه

(الرواية) : لماذا رفض المدير رواية السائق ورأى الحادث تلامسا لا انتصارا ؟
فكر في الحل ياسيدي القاري فإن أعياك فاقراه في المدد النادم

تجد حل انتحار البولييسي الذي نشر في المدد السابق على صفحة ٧٥ من هذا المدد